الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

تاريخ التنظيمات الاجتماعية والدينية الميزابية في العصر الوسيط من القرن الخامس إلى السابع الهجري (9م-11م)

رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط

من

إعداد:

شافية العبد اللاوي

تحت إشراف

أ.د. ابراهيم فخار

السنة الجامعية

2000-1999

الإهـــداء

إلى الوالدين الكريمين.....

إلى إخوتي وأخواتي.....

إلى كل الأصدقاء والزملاء.....

إلى من ساهم في إخراج هذا العمل.....

إلى أستاذي الدكتور ابراهيم فخار.....

إلى وطني الحبيب.....

أهدي هذا العمل المتواضع.....

المحاور

- مقدمة 09

القسم الأول:

الفصل الأول: 19

I- الميزابيون واعتناقهم المذهب الإباضي. 19

1- الموقع. 20

2 - نسبة الميزابيين. 28

3- المذهب الإباضي بالمشرق. 24

4- تعريف الإباضية. 28

5- المجالس الإباضية. 32

أ- المجالس العامة. 32

ب- مجالس المشايخ. 32

ج- مجالس العلم. 32

6- العقائد الإباضية. 34

7- الخلافة. 36

8- الإمارة . 38

9- الإمامة عند الإباضية. 39

أ - الظهور. 39

ب- الدفاع. 40

ج- الشراء. 40

د- الكتمان. 41

II- الحركة الإباضية بالمغرب. 48

1 - فرار الإباضيين إلى سدراتة ووارجلان. 48

2 - الإستقرار بوادي ميزاب. 54

الفصل الثاني: 57

I- نظام العزابة وآثارها على المجتمع الميزابي. 57

1 - نشأة نظام العزابة. 58

2- شروط العضوية لهيئة العزابة. 62

3- طريقة إختيار عضو العزابة. 64

4- لباس العزابة. 65

5 - أعضاء هيئة العزابة. 66

II - هيكل العزابة 66

1-شيخ الحلقة. 66

أ - شروط اختيار شيخ الحلقة. 67

2- إمام الصلاة. 69

3- المؤذن. 69

4- وكيلا الأوقاف. 69

5- العرفاء. 70

6- الغسالون. 70

7- هيئة إروان. 71

8- أصحاب المحاضر. 72

9- هيئة إمصوردان. 72

10- هيئة الغاسلات. 74

III- مهام العزابة 75

1- الجانب الديني. 75

2- الجانب الإجتماعي. 76

3- الجانب الإقتصادي. 77
4- الجانب الثقافي. 79
أ- الآمرون. 81
ب- المأمورون. 82
ج- أوقات الدراسة. 82

VI- الهيئات المرتبطة بنظام العزابة. 84
1- هيكل العشيرة. 84
أ- مجلس العشيرة. 84
ب- رئيس العشيرة. 85
ج- مجلس العوام. 85
د- مجلس عمي سعيد. 87

الفصل الثالث: 88
I- تأسيس المدن الميزابية. 89
1- القرى الميزابية المندثرة 89
أ- ضواحي قصر العطف. 90
- أغرم نتلزضت. 90
- أولاول. 91
- أوخيرة. 91
- قصر تامزارت. 92
ب- ضواحي غرداية. 92
- بوريزة. 92
- قرية بوهراوة. 92
- قصر بابا ساعد. 92

ج- ضواحي بني يزقن. 93
- ترشيش. 93
- أقنوناي. 93
- تفلالت. 93
- أتلالت. 93
- مومو. 94
2- تأسيس المدن الميزابية. 95
أ- العطف. 96
ب- بونورة. 97
ج - غرداية. 97
د- مليكة. 98
ه- بني يزقن. 98
و - القرارة. 99
ي- بريان. 100
3- مميزات المدينة الميزابية. 103
أ- المدينة. 103
ب- الحصون والأسوار. 105
ج- الأبراج. 107
د- المنازل. 110
هـ- بيوت الواحات. 114
4- المواد المستعملة في البناء. 115
5- المسجد. 118
6- السوق. 122
7- المقابر والأضرحة. 128

القسم الثاني:

الفصل الأول: 134

I- نظام تقسيم المياه بوادي ميزاب. 134

1- ناحية السيل شرقا. 137

أ- وادي لعديرة. 137

ب- وادي لبيض. 138

ج- شعبة إينيرز. 138

د- شعبة عوقبا. 140

هـ - شعبة بابا والجمة. 140

2- ناحية السيل غربا. 141

3- سدوب ميزاب. 146

4- الأبار الميزابية. 149

II- أهم الأودية التي تسقي واحات ميزاب. 152

1- واحة غرداية. 152

2- واحة مليكة. 153

3- واحة بني يزقن. 153

4- واحة بونورة. 154

5- واحة العطف. 155

6- واحة بريان. 155

7- واحة قرارة. 158

8- كيفية تقسيم المياه على أجنة ميزاب. 158

9- كيفية بناء الكوة. 161

الفصل الثاني: 165

1- زراعة النخيل بوادي ميزاب 166

2- السقي. 166

3- الغرس. 169

4- الجني والتلقيح. 174

5- تخزين التمور. 180

6- أمراض التمر وعلاجه. 181

7- فوائد النخلة. 184

الخاتمة. 187

الملاحق. 190

بيبليوغرافيا. 205

فهرس الأعلام والأماكن. 215

الفهرس العام. 218

المقدمة

موضوع الرسالة :" تاريخ التنظيمات الإجتماعية والدينية الميزابية في العصر الوسيط من القرن الخامس الهجري إلى السابع الهجري" .

ويرجع سبب إختياري لهذا الموضوع إلى إهتمامي وميولي إلى التاريخ الحضاري للجزائر عامة وتاريخ منطقة ميزاب خاصة، لما تزخر به الشبكة من خصائص عمرانية متميزة عن عمران صحرائنا هذا من جهة ، من جهة أخرى، فاختياري للموضوع لم يكن من باب الصدفة أو الإقتراح بل من أجل تصحيح أو رفع الإلتباس عما يشوب تاريخ بني ميزاب من خرافات وأساطير جعلتنا نرى المجتمع الميزابي مختلفا عن المجتمع الجزائري وبالتالي ظهر على غير وجهه الحقيقي.

فغاية هذه الدراسة المتواضعة في الطرح، والموجهة أساسا لغير الإباضيين أن تبين أن هذا المجتمع جزء من المجتمعات الإسلامية، وأن ما يميزه هو التسيير والتنظيم المحكمين، والسر في ذلك يرجع إلى التمسك بالدين الإسلامي الحنيف والتطبيق الأمثل للمبادئ الإباضية، هذا إلى جانب إنتهاج الميزابي لنظام العزابة الذي حدد ولازال يحدد ويسن قوانين لابد على كل ميزابي أن يتمسك بها ويتبعها. على أن هذا النظام يمثل السلطة الروحية والمادية لدى الجماعات الإباضية .

وتحاول الرسالة الإجابة على السؤال الذي يطرح نفسه: ترى ماهي الدوافع التي جعلت الإباضي يتوجه إلى وادي ميزاب، ويأسس مدنا تحولت إلى مراكز إنطلاق ونمو

حضارة عريقة ؟

وكيف إستطاع أن يتحدى الصعاب التي واجهته رغم طبيعة المنطقة الصخرية وأن يحيي أرضا جدباء في عمق الصحراء القاحلة فانتعشت على الإثرالزراعة وأخرجت المياه من جوف الأرض خاصة أن الفلاح الميزابي عمل بطريقة جد دقيقة في تقنينه لعملية تقاسم وتوزيع المياه وذلك بواسطة مقاييس وحسابات دقيقة بإحقاق العدل وتطبيق أحكامه على جموع الفلاحين، مع مراعاة مساهمة كل منهم في بناء السواقي وحفر الآبار وإستحداث السدود ، إلى جانب مساحة أرضه وعدد نخيله.

وقد إستعملت لذلك تقنيات ومهارات عالية أثبتت نجاعتها عبر العصور، فأصبحت تمور ميزاب من أجود التمور، رغم أن وجود النخيل لم يعرف في المنطقة قبل لجوء الإباضيين إليها.

ولطبيعة الموضوع الحضاري، فقد إكتست الدراسة طابعا تاريخيا وصفيا فجاءت في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، على أنني قسمتها إلى قسمين، القسم الأول يشمل ثلاثة فصول، والقسم الثاني فصلين.

سأعرض موجزا عن كل فصل من الدراسة حسب التسلسل الموجود في سياقها مع التركيز على النقاط الرئيسية التي تم التعرض لها في ذلك الجزء من الرسالة وأهم المصادر والمراجع والدراسات التي إعتمدتها.

- **الفصل الأول**: الميزابيون وإعتناقهم المذهب الإباضي، وقد تم التركيز فيه على نسبة الميزابيين، والمذهب الإباضي في المشرق ومبادئه وكيف إنتقل من المشرق بعد

فشل دعاته في إقامة دولة إباضية، ويتحقق ذلك في بلاد المغرب حين أنشئت الدولة الرستمية في تيهرت سنة (196 هـ / 777 م) وبسقوطها عام (296 هـ / 909م) فر الإباضيون إلى وارجلان، فميزاب بعد أن ضاق بهم العيش، في هذه المرحلة بالذات، لجأوا إلى اعتماد منهج الكتمان من أجل جمع شملهم من جديد، خاصة أنهم تفرقوا في كل من بلاد المشرق والمغرب وإفريقيا.

يتضح أن أهل ميزاب كانوا على مذهب المعتزلة، بعدهم إعتنقوا المذهب الإباضي ودافعوا عنه، ولازالوا إلى يومنا هذا متمسكين به.

إعتمدت في هذا الفصل على عدة مصادر ومراجع، وأهم مصدر أفادني هو " طبقات المشايخ بالمغرب" لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت سنة 670 هـ / 1271م) ألفه عام (650 هـ / 1253م)، إستند في تأليفه على مصادر إباضية وغير إباضية، خاصة المصدر الإباضي " السير" لأبي زكرياء، وهذا مايظهر تحيزه للمذهب. المصدر يقع في جزأين نشره الطلاي إبراهيم، وهو من المصادر الهامة التي لا يمكن لمن يبحث في تاريخ الإباضيين الإستغناء عنها، حيث يتناول: تاريخ المذهب الإباضي منذ ظهوره في العراق ومناقب مشايخ الإباضية وطرق تحصيلهم على العلم. هذا إلى جانب مرجع هام يعالج الأصول التاريخية للفرق الإباضية للدكتور خليفات محمد عوض.

- **الفصل الثاني:** نظام العزابة وآثارها على المجتمع الميزابي، في هذا الفصل عالجت نظام العزابة، هذه الهيئة الإصلاحية التي لازالت إلى يومنا تشرف على كل

المجتمع الإباضي، بدءا بنشأة النظام، أصلها ومؤسسها، شروط العضوية فيها، طريقة إختيار عضو العزابة، لباسهم، هيكلها كل على حدى، إلى جانب تناولي للهيئات المرتبطة بنظام العزابة.

أهم مصدر تطرق للموضوع، الدرجيني في "الطبقات" و"السير" للشماخي (أحمد سعيد بن عبد الواحد)، والدراسة الخاصة بالجعبيري فرحات " نظام العزابة عند الإباضية الوهبية بجربة" وللعزابي اسماوي دراسة معمقة إعتمد فيها على مصادر ووثائق هامة تحت عنوان "نظام العزابة ودوره في الحياة الإجتماعية والثقافية بوادي ميزاب"، كما أن للباحث مسعود مزهودي دراسة " الإباضية في المغرب الأوسط " خصص جزءا منها لنظام العزابة .

- **الفصل الثالث** : يتناول هذا الفصل تأسيس المدن الميزابية لكن قبلها بينت أن المدن الميزابية الحالية، لم تكن أولى المدن، بل كانت هناك قرى إندثرت، ولم يبق من آثارها إلا الشيء القليل كبعض الأسوار والأبراج، وهو ما يبين أن منطقة ميزاب كانت عامرة قبل إنتقال الإباضيين إليها.

كما حددت مواقع هذه القرى في كل من ناحية الشبكة حيث تظهر المدن الحالية والتي قامت على أنقاضها أو بجانبها ، معللة سبب إندثارها.

إعتمدت على الدراسة التي أفادنا بها الباحث " Huguet " تحت عنوان "Les Villes Mortes Du M' zab " نشرها في "Bulletin Et Mémoire De La societé D' Antropologie" سنة (1903)، هذا إلى جانب دراسة أخرى لنفس الباحث أشار فيها للمدن الميزابية

المندثرة تكوينها، مواقعها وأسباب إندثارها تحت عنوان:

" Le Pays Du M' zab " في نشـــرية "Bulletin De societé Et Geographic" عـــام (1898).

بعدها ركزت على المدن الحالية لميزاب، أصل تسميتها وأسباب ظهورها من خلال أراء كل من الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في " الرسالة الشافية "، والدراسة التي أنجزها الباحث " Marcel Mercier " في كتابه "Civilisation Urbaine Au M' zab" وهي دراسة وصفية دقيقة للمنطقة، إعتمد فيها على وثائق هامة، تحصل عليها خلال إستقراره هناك، في فترة إمتدت مابين (1915) إلى (1920) جمع خلالها مادة وفيرة، تعلقت بالجانب الديني، الإجتماعي، الثقافي، الإقتصادي والعمراني بالتفصيل، ولم يخف إعجابه بالفرد الميزابي ومدى حبه للعمل والإجتهاد، رابطا ذلك بالعقيدة والمذهب الإباضي، مما انعكس عمليا في صورة جسدتها حضارة عمرانية فريدة من نوعها، كانت ولازالت محل دراسات واهتمام الباحثين.

إستفدت كثيرا من هذه الدراسة خاصة فيما يتعلق بالجانب العمراني منها في تأسيس المدن الميزابية وكل مايرتبط بها من أسوار، أبراج وأزقة، أي هيئتها الداخلية والخارجية.

بعدها تناولت كل ما يتعلق بالمدينة، كالحصون، الأسوار، المنازل، المساجد، المقابر والأضرحة من حيث العمران، مشيرة إلى أن كل المواد المستعملة في البناء محلية.

أما فيما يخص الأسواق الميزابية، إستفدت من دراسة للباحث "Gondlfi Alain"

تحت عنوان " Les Marchés Du M'zab " سنة (1949) تعالج عموما موضوع الأسواق الصحراوية، والأسواق الميزابية على وجه الخصوص، علما أنه ليست هناك دراسات خاصة بالأسواق، إذ غالبا ما تدرج ضمن الدراسات الإجتماعية، الإقتصادية، ولا يستطيع الباحث أن يجمع المادة المتعلقة بهذه النقطة إلا بعد دراسة الموضوع كله، لكن طروحات هذا الباحث في دراسته الشاملة للجانب الإقتصادي، أعطتني معلومات عن تاريخ الأسواق، كما تناول أسواق ميزاب من جانبها العمراني التجاري، ليستنتج أن الأسواق الميزابية لا تعتبر مجالا للبيع والمبادلات التجارية فحسب، بل تعد مكانالتعاطي ومناقشة القضايا السياسية، وكل المسائل التي تهم المجتمع، مما جعل نظام العزابة، يعطى أهمية كبرى للسوق، إذ أصبح المحتسب أو المشرف على السوق يمثل السلطة، فلا تنطلق عملية البيع والشراء إلا بعد الإعلان عنه من قبل العزابي، وهو بزيه جالسا على درج أمام متجر يراقب كل من الباعة والمشترين.

"Gondlfi" في هذه الدراسة لجأ إلى الميدان، إلى جانب إعتماده على وثائق أمده بها البابا "دافيد" بابا غرداية في تلك الفترة الإستعمارية، هذا إلى جانب مراجع إعتمدها، تناولت المواضيع الإقتصادية والسوق الميزابي.

-**الفصل الأول من القسم الثاني**: نظام تقسيم المياه بوادي ميزاب، وهو النظام الذي تنفرد به الشبكة، خاصة أن مناطقنا الصحراوية تعمل بنظام الفقارات، فنظام تقسيم المياه بميزاب، لم يكن وليد الصدفة بل أن الحاجة هي التي أدت إلي ظهور الفكرة وتجسيدها، لأن المنطقة قليلة المياه، لكن هذا لا ينفي وجود طبقة مائية باطنية

وجود طبقة مائية باطنية معتبرة، لم تسمح إمكانيات الميزابي في القرن الخامس الهجري الوصول إليها وبالتالي إستغلالها، كما تناولت كل مايخص النظام من أودية وشعاب وسدود وكذا الآبار التي تسقى من خلالها الواحات والجنائن، ساعدتني تلك الأبحاث التى أنجزها "Potier" بعنوان " La Législation De L' Eau Au M' zab " سنة (1959) في نشرية "Encyclopedie Mensuelle D'outre - Mer" هذا إلى جانب دراسة أخرى لنفس الباحث أصدرتها مجلة "Sciences Et Voyages" عام (1949) تحت عنوان "L'Eau Probléme Numéro Un Pour Les Mozabites" في هذا الفصل ذكرت الكيفية التي إستعملها الميزابي لتقسيم المياه على الجنائن، وبناء الكوة، وهي طريقة جد دقيقة وعلمية تقوم أساسا على العدل والمساواة، بينت مدى حنكة الفلاح الميزابي ومحافظته على المياه، إنطلاقا من مبدأ عدم التبذير.

ولأهمية نظام تقسيم المياه في ميزاب عمل الحاج سليمان بومريقة في الأربعينيات وكان يومها رئيسا لأمناء التوزوز على وضع قواعد عامة خاصة بالسيل، وفي حالة التجاوز أو التحايل على هذه الأخيرة، سيتعرض الفرد حتما لعقوبات تصل في بعض الأحيان إلى تجريده وحرمانه من غلته لمدة محددة.

للإشارة أن للحاج سليمان بومريقة، دراسة هامة متعلقة بهذا الجانب تحت عنوان " تفصيل الجواب عن تقسيم مياه السيول بوادي ميزاب" تعرض فيها لأصول الأودية، تعاريفها وكذا الشعاب، وكيفية تقسيم السيل على البساتين، بناء الكوة، إلى جانب تحديده لقواعد عامة في السيل.

ولولا هذا النظام البديع لما إنبثقت من الأرض الجرداء القاحلة واحات غناء تقف

شاهدا إلى يومنا هذا على عظمة الإنسان وقدرته على التحدي ومواجهة الطبيعة.

-**الفصل الثاني**: خصصته لزراعة النخيل بوادي ميزاب، رغم أن المنطقة لم تعرف هذه الزراعة قبل القرن السابع الهجري، أي بعد إستقرار الإباضيين بميزاب، إذ غرست أول نخلة بقصر بونورة.

بعدها تناولت الطريقة أو الكيفية المتبعة لسقي النخيل، وهي بدائية إعتمدها الفلاح الميزابي مستعينا بدلو ودابة، بمرور الوقت أصبح خبيرا في ميدان الزراعة والسقي، فعرف كيفية تحديد كمية الماء التي تتطلبها النخلة حسب نوع تمارها، فمن أنواع النخيل ما يمكنها الإستغناء عن المياه " كأوشي" "Aouchet " و" تادلا " " Tad-dala " وعلى عكسها فمن التمار التي لا يمكنها أن تعيش في وسط يفتقد للمياه والرطوبة منها " دقلة نور" و " الغرس".

عملية السقي تختلف حسب عمر النخلة وحسب الفصل، أما النتائج المتحصل عليها فهي تعود أساسا للتقنيات المستعملة، على اعتبار أن النخلة تحتاج إلى حوالي مائة وخمسين لترا إلى مائتي لتر من الماء يوميا.

والملازم الفرنسي " Charlet " عالج كيفية زراعة النخيل وسقيها في مقال له تحت عنوان: " Les Palmiers Du M'zab " نشر سنة (1905) في:

" Bulletin De La société De Geographie "

إلى جانب دراسة أخرى للقائد "Gauvet" صدرت في:

"Bulletin Du Comité De L'Afrique Francaise" سنة (1902)، أشار فيها لزراعة

النخيل في كل من منطقة الوادي ووادي ميزاب عموما والتقنيات والطرق التي تجعل الفلاح يحصل على مردود جيد .

غير أن أهم كتاب عالج هذه المسألة بكل دقة، إستطعت أن أتحصل عليه في ميزاب هو "كتاب النحلة في معرفة النخلة " لقطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش رحمه الله، تناول فيه المؤلف بالتفاصيل كل الأمور المتعلقة بزراعة النخيل، أفادني بمعلومات هامة عن أفضل أوقات الغرس للنخل وحتى بعض الفواكه الأخرى إلى جانب أمراض النخيل، واصفا لنا العلاج وفوائد النخلة.

إلى جانب اهتمام قطب الأئمة بالمسائل الدينية والفقهية، فإن حبه للفلاحة والزراعة، جعله يبحث في كل مامن شأنه أن ينمي المردود الزراعي، إذ تفنن في الإعتناء ببستانه ببريان.

في آخر الرسالة تناولت كيفية تخزين التمور، أمراض النخلة وعلاجها مستنتجة ذلك التشابه الكبير بين الإنسان والنخلة من حيث الإحساس والولادة والموت.

وهكذا فقد إستطاع الميزابي أن يجعل من ميزاب موطنا لحضارة عمرانية راقية مستمدة من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف فصنفت تراثا وطنيا وعالميا.

مما لاشك فيه، أن كل باحث يواجه صعوبات وتصادفه مشاكل معينة، تختلف طبيعتها وحدتها، حسب نوعية الموضوع المدروس، ولإنجاز هذه الرسالة صادفتني في بادئ الأمر صعوبات، وإن كانت جزءا من أي عمل يقدم عليه الباحث في التاريخ الجزائري، منها عدم وفرة المصادر والمراجع الخاصة بالإباضية وتاريخ ميزاب عامة، هذا ما ألزمني التنقل عدة مرات إلى ميزاب، وذلك بالإستعانة ببعض المعارف

هذا ما ألزمني التنقل عدة مرات إلى ميزاب، وذلك بالإستعانة ببعض المعارف والأصدقاء الميزابيين، مما سمح لي الإطلاع على ما تزخر به المنطقة من خزائن المخطوطات الإباضية المتواجدة بمكتبة القطب ببني يزقن، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى حفيد الشيخ اطفيش المشرف على المكتبة لما قدمه لي من مساعدات .

كما أشكر كل أهالي وادي ميزاب ، وعلى رأسهم شيخ العزابة صالح بن عمر والشيخ سليمان باكاي عزابي وأمين غابة بني يزقن لما قدموا لي من إرشادات ونصائح، وكذا المثقفين، منهم السيد عبد الرحمن حواش الذي كلما قصدت ميزاب إلا وأكرمني وأمدني بمقالات ودراسات خاصة بالمنطقة. وكذا أمين الغابة السيد داود التومي الذي رافقني ميدانيا لواحات وسدود ميزاب رغم تقدم سنه ورغم حر أيام الصيف في الصحراء.

أشكر ديوان حماية وترقية سهل وادي ميزاب وعلى رأسهم السيد زهير بلالو مدير الديوان والباحث كمال رمضان اللذان ساعداني كثيرا في مرحلة جمع المادة ووضعا تحت تصرفي كل الإمكانيات المادية والمعنوية.

وفي الأخير لا يفوتني أن أتقدم بالشكر العميق لأستاذي الدكتور إبراهيم فخارالذي أخلص لي في النصيحة، وقدم لي التوجيهات القيمة، وتابعني في كل مرحلة من مراحل إنجاز هذا البحث رغم مهامه السامية ووقته الثمين.

القسم الأوّل

1018

الفصل الأوّل
الميزابيون واعتناقهم المذهب الإباضي

الموقع: يقع وادي ميزاب فوق مرتفع الحمادة بين 32 و33، 20 خط الشمال و 30 شرقا على ارتفاع يقارب 300 و 800م في بلاد الشبكة، نسبة إلى هضبة كلس في شمال الصحراء، تتميز بتضاريس وعرة مفتوحة من الشمال الغربي، والجنو الشرقي لمرور وادي ميزاب، وهي تضم خمس قصور : العطف، بونورة، مليكة، ب يزقن، غرداية، طول وادي ميزاب عشرين كيلومتر، وعرضه حوالي إثنين كيلومتر.

وغير بعيد عن هذه القصور بحوالي أربعين كيلومتر من الشمال نجد بريان وبحوا خمسة وثمانين كيلومتر من الشمال الشرقي تظهر قرارة.

يحد بلاد الشبكة من الشمال وادي بوزيير، غربا وادي زرقون وتمتد شرقا فتش زلفانة وقرارة ، أما من الجنوب فبلاد الشعانبة، وأهم الأودية التي تتخلل با الشبكة فهي وادي زقرير، وادي النسا ، وادي ميزاب، وادي متليلي، وادي زقرير ين من ناحية الضايات ليسقي واحة القرارة، وادي النسا له رافدان: وادي بالّوح ، واد السودان عند ملتقاهما أنشئت بريان.

يستقبل وادي ميزاب كلا من مياه وادي الأبيض، التوزوز، العديرة ليسقي واح مليكة وغرداية، وعند الغرب تتجمع مياه وادي النسا لتسقي واحة بني يزقن، و الناحية الشرقية نجد مياه وادي أزويل تسقي واحة بونورة، متجهة إلى العط وزلفانة، وأخيرا ينتهي عند سبخة الهيشة على بعد ستة عشرة كيلومتر من نقو شمال ورقلة[1].

---

1 - يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، غرداية 1994، ص 9-10.
للمزيد أنظر: oyne (M), le M'zab, Revue Africaine, N° 23, 1979 O.P.U , p.p 172-173.

منطقة ميزاب ذات مناخ صحراوي، تتراوح كمية الأمطار السنوية في بعض الأحيان تبلغ 120,5 ملم وأدناها 8 ملم[1].

تعرف منطقة وادي ميزاب بهبوب رياح شمالية غربية باردة ورطبة شتاء، أما في فصل الصيف فهي ذات رياح شمالية شرقية ساخنة وقوية خاصة في شهور مارس أفريل وماي ، درجة حرارة وادي ميزاب صيفا تتراوح مابين 40°، و30 و4 تحت الصفر ليلا، و15 إلى 20 نهارا في الشتاء.

1- Ben Youcef Brahim, Le M'zab, Espace et Société , Alger 1986, p 8.
أنظر: Encyclopedie de L'Islam (Mercier)(مادة ميزاب), Tome 2 Paris 1977, p.p 827... 829.

2- نسبة الميزابيين:

سكان ميزاب الأصليون من قبيلة بني مصعب البربرية فرع زناتة* وسبب تحريف مصعب إلى ميزاب يرجع إلى أنّ من البربر من لا يستطيع النطق بالعين محققة فينطقها همزة، وقد يسهلها إلى الألف فيقال مصعب، ومُصاب ومُضاب ومزاب وميزاب وحسب بن خلدون (1332-1406) فإنّ "قصور مُصاب" سكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومُصاب وبني زردال فيمن إنضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شُهرتها مُختصة بمُصاب."

وزناتة تتفرع إلى خمسة فروع من بينها واسين، وتشمل واسين كلاً من بني مرين وبني راشد وبني بادين، وإلى بني بادين يُنتسب بنو مصعب[1].

فإذا كان أصل التسمية من "مُصاب" فمُصاب من زناتة وهو مُصاب بنُ بادين بنُ جانًا، وبني بادين من ولد زرجيك الذي ينتسب إليه بنو عبد الواد، ومنهم بنو توجين وبنو مُصاب وبنو برزال كلهم ينتسبون إلى بادين بن محمد، وكانوا يُعرفون بين زناتة ببني واسين قبل أن تتشعب هذه البطون [2].

لكن حسب ما يبدو أن الإباضية يُفضلون تسمية ميزاب ومعناها "أصحاب الميزاب" يُرجعونها إلى الشيخ الإباضي أبي مرداس بن جدير، وهو من علماء الطبقة الثانية 50-100هـ، الذي ساهم في إثراء المذهب الإباضي.

---

* زناتة من البربر البتر، قبائلها كثيرة وكذا مواطنها، تواجدت بكل أنحاء المغرب في طرابلس، في ضواحي إفريقية والمغرب الأوسط، وهي أكبر القبائل حُبًا للحريّة.

1- يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، ص. 14.

للمزيد إرجع: علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبة، مصر 1939، ج 4، ص. 431-432.

Huguet (H), Origines et Migrations des Tribus Berbères et particulièrement des Béni-M'Zab, Revue de l'école d'Antropologie, Tome 16, Novembre 1906, p. 380.

2 - عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والبربر ومن عاصرهم من السلطان الأكبر، منشورات الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت 1968، المجلد الرابع، القسم الأول، ص.285,148,129 .

أنظر مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، المطبعة العربية غرداية، 1996، ص. 5.

أمّا الشيخ اطفيش الحاج محمد بن يوسف في رسالته الشافية يقول: "أنّ تسمية أهل القرى الخمس بل السبع بني ميزاب بضّم الميم وتخصيصهم بهذا الإسم، تحريف بل الصّواب أنّ بني ميزاب بميم مكسورة بعدها ياء مُبدلة من واوٍ معنى ميزاب أصحاب الميزاب، فهو إسم تأهل له كل إباضي وهبي من أهل الدعوة ولو من عمان وذلك أنهم كلهم يقفون في الطواف تجاه ميزاب الكعبة للدعاء، ولا يقف في ذلك سواهم من أهل المذاهب الأخرى، أو لأنّ أبا بلال مرداس بن جدير دخل الحجر الحطيم في ليلة مُقمرة صاحية، يدعو اللّه أن يُظهر دينه، فقطرت عليه قطرة من الميزاب بلا سحاب، وذلك أنّه كان تحت الميزاب يدعو اللّه راغبًا لهفانًا جاهراً أن يُظهر اللّه ديانتها، فسمعه أهل الطواف فآمنوا على دعائه ووجهه الأوّل، أنّ الدّعاء في تجاه ميزاب أعظم شهرة لكثرة فاعليه وكثرة تكرره[1].

وأنّ تسمية الوادي ترجع إلى آلة وزوب الماء أي إنحداره وانصبابه كالميزاب بمعنى آلة الوزن[2].

في نظرنا أنّ تسمية ميزاب الكعبة لا تقوم على أساس علمي ومنطقي إنّما ربطها الشيوخ بالحرم النبوي لإعطاء الصبغة الدينية والقدسية لميزاب، مع ربط أهل الدعوة في المشرق وأهل الدعوة في المغرب.

---

1 - اطفيش (محمد بن يوسف)، رسالة شافية في تاريخ وادي ميزاب، مخطوط بمكتبة القطب، غرداية (د. ت)، ص. 84.

2 - نفسه، ص. 86.

أنظر: حمّو عيسى النوري، نبذة من حياة الميزابيين الدّينية والسياسية والعلمية، باريس 1984، ج 1، ص. 28.

أمّا قطرات الماء بلا سحاب، فإظهاراً لمذهب الإباضية وصدق دعوتهم فهي فكرة لا تصمد أمام الحقيقة العلمية، لذا نُرجح أن أصل التسمية التي خصّها ابن خلدون لميزاب أقرب إلى الصّواب.

3 - **المذهب الإباضي بالمشرق:**

ظهرت المذاهب الإسلامية نتيجة لصراعات سياسية عاشتها الخلافة الإسلامية بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، اشتدت أكثر في عهد الخلفاء الراشدين خاصة عهد الخليفة الثاني عثمان بن عفان رضي الله عنه (23 -35هـ /644 - 656م) وعلي كرم الله وجهه (35-40هـ /656 -661م) هذه الخلافات لم تمس الدين، بل تعلقت أساسا بمبدأ الخلافة[1].

من المؤكد أن انتقال الإباضيين إلى وادي ميزاب لم يكن وليد الصدفة، بل أن هناك أسباب أدت إلى ذلك التنقل من تيهرت إلى سدراتة فوارجلان، وأخيرا الاستقرار بوادي ميزاب.

فما هي الأسباب التي جعلت الإباضي يتجه إلى وادي ميزاب وتأسيس قصور قامت على إثرها حضارة ذات طابع مميز، شدّت أنظار كل باحث وهي محل دراسات محلية وأجنبية أبهرت كل المعماريين؟

---

1 - أسماوي صالح، نظام العزابة ودوره في الحياة الإجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة لنيل دبيلوم الدراسات المعمقة، جامعة الجزائر، 1986، ص 4.

كيف استطاع أن يتصدى لكل الصعوبات التي واجهته رغم قساوة الطبيعة والمنطقة فاستطاع أن يحي أرضا جدباء؟ فانتعشت الزراعة وأخرجت المياه من جوف الأرض إذ أصبحت تمور المنطقة من أجود التمور رغم أن وجود النخيل لم يعرف في الشبكة قبل لجوء الإباضي إليها.

للإجابة على هذا الإشكال لا بد أن نتطرق بإيجاز إلى نشأة المذهب الإباضي بالمشرق وانتقاله للمغرب واعتناق بني مصعب للمذهب بعد أن كانوا على مذهب المعتزلة.

أول ظهور للمذهب الإباضي كان بالمشرق في القرن الأول الهجري بالبصرة، هذه التسمية أطلقها عليهم الأمويون نسبة إلى عبد الله بن أباض* المري التميمي، ويرجع المذهب في نشأته وتأسيسه إلى جابر بن زيد** الذي أرسى قواعد المذهب الفقهية وأصوله.

---

* عبد الله بن أباض بن تيم اللاّت بن ثعلبة التميمي من بنى مرّة بن عبد عُبيد رهط الأحنف بن قيس، يُقال أن قبيلته العربية من بني مرة قد إنحدرت من نجد واستقرت في البصرة، ولد في عهد معاوية بن أبي سفيان وتوفي أواخر عهد عبد الملك بن مروان.

أنظر: بكير سعيد أوعشت، رجال خالدون في ذاكرة الإسلام، المطبعة العربية غرداية (د. ت)، ص. 19...29.

- حمّو عيسى النوري، نبذة من حياة الميزابيين، ص. 25.

** أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي من قبيلة اليحمد الزيدية في عمان، ولد بلدة فرق سنة 22هـ/628 م، توفي 93هـ/711م تابعي عالم وزاهد، أخذ علمه عن الصحابة خاصة ابن عباس، عائشة، وكان أبرز مفتي في البصرة، يعتبر الإمام الحقيقي والأول للمذهب.

أنظر: أبي الرّبيع سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، مكتبة الإستقامة تونس، 1938، ص. 28-29.

- عوض خليفات، الأصول التاريخية للإباضية، الأردن، (د. ت)، ص. 14...20.

المذهب الإباضي ظهر نتيجة خلافات سياسية ترجع إلى جذور تاريخية تبدأ بالفتنة الكبرى التي حلّت بالمسلمين، فبعد اغتيال عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن يواجه أعدائه في واقعة الجمل (36هـ/ 556م) التي جمعته مع أهل مكة وطلحة والزبير وعائشة رضي اللّه عنهما، وقد عرف الخليفة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ثاني مواجهة له في واقعة صفين (37هـ/ 657)م حين إلتقى بمعاوية وطلب منه تحكيم كتاب اللّه، فاختلف أصحاب علي كرّم اللّه وجهه أيقبلوا بالتحكيم لأنهم يحاربون لإعلاء كلمة اللّه وقد دعوا إليها، أم لا يقبلوا لأنها ماهي إلاّ خدعة حربية لجأ إليها معاوية وأصحابه عندما أحسوا بالهزيمة؟

بقبول الخليفة علي كرم اللّه وجهه التحكيم، إختار معاوية عمرو بن العاص ليمثله واختار أصحاب علي أبا موسى الأشعري، ومن هنا يظهر الإنشقاق في صفوف جيش علي كرم اللّه وجهه، رأى هؤلاء المنشقون أن التحكيم خطأ، خاصة أن حكم اللّه في الأمر واضح فلا حكم إلاّ للّه، من هنا عرف هؤلاء بالمحكمة ، وأصبحت كلمة لا حكم إلاّ للّه شعارهم [1].

---

1 - ابراهيم بن يوسف، الحكم والسياسة من منظور الإباضية، مطبعة تقنية الألوان الجزائر، 1991، ص 8.
- أنظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1979، ص 257.
Cuperly (P), Introduction à L'étude de L'ibadisme et de sa Theologie, O.P.U Alger, 1991, p.p 14-15.

انصرف هؤلاء إلى النهروان، حيث بايعوا إمامهم عبد الله بن وهب الراسي فاتبعهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، محاولا إقناعهم للعدول عن موقفهم والرجوع تحت لواء جيشه، لكن إصرارهم على مقاتلة جيش معاوية جعله يقاتلهم في النهروان، حيث مات الكثير منهم ومن بقي ألح على المطالبة بحكم شوري.

للإشارة أن هذه الحركة الشورية بدورها إنقسمت إلى متطرف متشدد ومعتدل اختارت العمل السري وسيلة للوصول إلى غرضها وهو إقامة دولة قائمة على الحق مطبقة لمبادئ الإسلام الحنيف، إذ كان على رأس هذه الجماعة أبو بلال مرداس بن أدية الذي يعتبر النواة الأولى لعدة فرق إسلامية أهمها الإباضية، وكان شديد الحرص على عدم استعمال القوة إلا عند الضرورة والدفاع عن النفس، فبعد استشهادأبي بلال سنة 61 هـ خلفه عبد الله بن أباض، فسميت هذه الطائفة بجماعة المسلمين، أما الخوارج المتطرفون فقد أطلقوا عليها إسم القعدة* لأنهم عدلوا عن فكرة السلاح وجعلوا من العمل السلمي منهجا لهم، لكن بعد مقتل زعيمهم أبو بلال اتبعوا سياسة الإغتيالات السرية (اغتيال بن علقمة قائد الجيش الذي قتل أبو بلال)، عرفت هذه الحركة مرحلة سلم مع السلطة، لكن في عهد الحجاج بن يوسف عادت الصراعات والمواجهات بين السلطة وأصحاب القعدة حين سجن قائدهم عمران بن حطان وأطلق سراحه فيما بعد، هنا يحدث ثاني انشقاق في القعدة، من مطالب بالثورة، وهم الصفرية، ومطالب بالثريت والتعقل وهم الإباضية.

---

* القعدة جماعة ظهرت في البصرة في منتصف القرن الأول الهجري / السابع ميلادي.

- أنظر : عدون يوسف، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال أراء الشيخ اطفيش ، رسالة ماجستير، الجزائر 1987، ص29.

4 - **تعريف الإباضية:** ينسب خير الدين الزركلي في كتابه (الأعلام) الإباضية إلى عبد الله بن أباض المقاعسي المروي التميمي من بني مرّة بن عبيد بن مقاعسي رأس الإباضية وإليه ينتسبون، والملاحظ أن المؤرخين اضطربوا في سيرته وتاريخ وفاته، والمذهب الإباضي ظهر في القرن الأول من الهجرة، وإلى عبد الله بن أباض انتسب، وقد عاصر معاوية وعاش في أواخر أيام عبد الملك بن مروان (26هـ -86هـ). قال : وأخبار هؤلاء الإباضيين كثيرة، في التاريخ القديم والحديث ولا يزال مذهبهم منتشرا في بلاد الجزائر يعيشون على وثيرة منظمة وتقاليد عريقة، لا تحكم بينهم محاكم الدولة، وإذا ما ضلّ مدين دائنه، دخل المسجد وأعلن ذلك، وحينئذ يقاطع المدين فلا يسلمون عليه ولا يعاملونه حتى يوفي ما عليه من دين.

وهم في المشرق أكثر أهل المملكة العمانية، ولهم فيها الإمامة والسيادة، في الجزائر فبلاد وادي ميزاب، معظم سكانها إباضية لهم في كل بلد منها مجلس عزابة[1].

---

1 - الزركلي خير الدين، الأعلام، مطبعة كوستا تسيوماس، مصر 1959، ج 4 ، ص 184.
- أنظر : اطفيش، رسالة شافية، ص 80-81.

أمّا المصادر غير الإباضية تنسب المذهب إلى عبد اللّه بن آباض التميمي، لكن علماء الإباضية ينسبون لهم دورا غير رياديا بل ثانويا بالمقارنة مع جابر بن زيد الذي يعتبرونه المؤسس الحقيقي للمذهب، علما أن عبد اللّه بن أباض كان دائما يرجع إلى أقوال جابر حين يصدر حكما في مسألة ما، لأن جابرا يبقى منظر الفكر السياسي والديني[1].

للإشارة أن الإباضيين كانوا يطلقون على أنفسهم "أهل الدعوة والإستقامة" ويرفضون الإنتساب إلى عبد اللّه بن أباض، بل ينسبون أنفسهم إلى جابر بن زيد (23هـ-93هـ)[2].

---

1 - خليفات عوض ، الأصول التاريخية للإباضية، ص 22.

- أنظر : معمر علي يحي، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، المطبعة العربية غرداية، 1995. ص 25.

- أنظر: مادة "إباضية" Encyclopédie de L'Islam (Zaden - Lewiski) , Tome 2 , 1977 Paris; p 372.

2- خليفات عوض، الأصول التاريخية، ص 75.

في الحقيقة أن بن أباض كان يمثل الوجه الظاهر للحركة في مواجهة الحكام الأمويين ، ولكن أرائه كانت تمثل أراء جابر بن زيد الذي كانت له مكانة طيبة لدى العامل الأموي الحجاج بن يوسف، فجابر جعلته القعدة على رأسها ، أصبح منظمها واستطاع أن يجنب كل فعل معاد مع السلطة، حتى حين عرض عليه الحجاج القضاء رفضه بحجة الضعف، للإشارة أنه ليس المقصود من هذا الضعف البدني أو القصور الفكري وإنما يقصد به عدم القدرة على تحمل المسؤولية مخافة من الوقوع في الزلل، ولا زالت هذه القاعدة متبعة إلى يومنا هذا عند الإباضية بحيث إذا أسندت إلى أحد مسؤولية ما وأظهر الضعف هروبا فهو الرجل الأصلح والأنسب، وإذا سعى أحدهم إلى هذا المنصب وأبدى رغبته واستعداده فهو الذي يتم اقصاءه من المسؤولية، هذا الفعل يبين مدى حنكة الرجل وبعده السياسي، فعمل على إبعاد كل الشبهات والشكوك من أجل الوصول إلى هدفه، كيف لا وهو ينوي تأسيس حركة مناوئة للحكم القائم [1].

---

1 - نفسه، ص 24.

بهذا استطاع أن يكسب أنصارا كثيرين والتف من حوله تلاميذ منهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي* الذي لعب دورا لا يستاهن به في تنظيم الحركة بعد أن سجن زيد بن جابر من قبل الحجاج بن يوسف حين أصبح له أنصار كثيرون في البصرة قاموا بثورات أدت إلى خلع الحجاج بن يوسف من الولاية، وبعد نفي جابر إلى وطنه الأصلي عمان استطاع نشر دعوته هناك بسرعة فلاقت نجاحا كبيرا، إذن خلفه فيما بعد في زعامة الدعوة تلميذه أبو عبيدة* مسلم بن أبي كريمة، وبعد موت الحجاج سنة 95هـ، وبحكم الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) عرفت الإباضية فترة من الإستقرار خاصة أن الخليفة حاول التقرب من كل الفرق المعارضة، ومنها الإباضية فعمل أتباع أبي عبيدة ومشايخ الإباضية على تنظيم دعوتهم للوصول إلى غايتهم في تأسيس إمامة الظهور وتنظيم المجالس أو المدارس السرية كان يقصدها التابعون في هيئة تجار أو حتى النساء خوفًا من عيون السلطة، وهذه المجالس تنقسم إلى:

---

* كان يُلقب بالقفاف، لأنّه يصنع القفاف، يضع حارسًا على باب متجره وهو أحد طلبته، فإذا أحسّ بأحد يحرك سلسلة تصل بأبي عبيدة يتوقف عن الدّرس، وعند المأمن يحركها مرّة أخرى لمواصلة الدرس، وأبو عبيدة أخذ العلم عن جابر بن زيد وبعد موت هذا الأخير رجعت الرئاسة إليه، أنشأ مدرسة سرية بالبصرة لتخرج دعاة الحق، سجنه الحجاج بن يوسف، ولما توفي سنة 95هـ أطلق سراحه، فلم يلن إذ إستمر في جهاده، وبإشاراته وتوجيهاته أسّس الإباضية في كل من المغرب وحضرموت دولا مستقلة، تخرج على يده رجال عُرفوا باسم "حملة العلم" عن طريقهم إنتشر المذهب الإباضي.

توفي أبو عبيدة سنة 145 هـ، وأشهر تلاميذته الربيع بن حبيب صاحب المسند الجامع الصّحيح، سلمة بن سعد، أبو الخطاب بن عبد الأعلى بن السمح المعافري، الجلندى بن مسعود، وعبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية.

للمزيد أنظر:

- خليفات عوض، نشأة الحركة الإباضية، ص. 108.
- بكير بن سعيد أعوشت، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مطبعة البعث قسنطينة، 1982، ص. 21.
- الدرجيني أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق طلاي ابراهيم، قسنطينة، 1974، ج 2، ص. 238...244.

5 - المجالس الإباضية:

لهذه المجالس فضل كبير في الحفاظ على المذهب الإباضي وبعثه والعمل على إقامة دول تحكم بحكم اللّه وسنة رسوله (صلى اللّه عليه وسلّم) وهي:

1) المجالس العامّة: يستطيع كل شخص الإقبال عليها، وهي تُعقد سراً في بيت أحد الشيوخ، وفي سراديب أرضية مخصصة لهذا الغرض ولم تكن هناك برامج خاصّة تعتمد عليها، بل كانت تُلقى فيها دروس في العقيدة، ويُشرف على هذا المجلس شيخ يُسمى المجلس باسمه.

2) مجالس المشايخ: لا يحصر هذه المجالس إلاّ مشايخ الحركة، فهي الهيئة العليا لحركة سرّية، تنظم وتقرر وتنفذ قرارات المجلس.

3) مجالس العلم: (حملة العلم) على رأسها أبو عبيدة الذي أقام مدرسة في سراديب أرضية خفية عن أنظار الخليفة، يدرس أصول الدعوة وتعاليمها، ومن هذه المدرسة تخرج دعاة الإباضية المعروفين بـ "حملة العلم" يُختارون من بين أهل الولايات والأنصار التي يرسلون إليها، غالبًا ما يكون المرسل عالمًا بأحوال الناس وعاداتهم وحكّامهم، لعلّ هذا ما يجعل مهمتهم أقل صعوبة.

لكن تطور الأحداث وظهور ثورات بعض الإباضية المتطرفين، كثورة يزيد بن المهلب ضد ولاية عبد الملك، والتي قُضي عليها سنة 120هـ جعل أصحاب حملة العلم يحلون دون مرحلة الظهور، وهي تأتي إذا ما توفرت شروط القدرة عند المسلمين عُدة وعدداً وُجب عليهم الظهور، وهو إقامة الإمامة بحكم كتاب الله وسنة رسوله (صلّى الله عليه وسلّم) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففضل أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة أن ينتهج سياسة الكتمان في البصرة لإعلان الحركة، وذلك في تكوين علماء وفقهاء كان النواة الأولى لمدارس تزخر بالعلم، ومؤسس دول تحكم بكتاب الله وسنة رسوله (صلّى الله عليه وسلّم)، منها دولة حضرموت واليمن ودولة عمّان وخراسان هذا في الشرق، أمّا في الجزء الغربي من بلاد الخلافة الإسلامية إستطاعت الدولة الإباضية الرستمية أن تعمر أكثر من قرن وثلث القرن إلى أن قضى عليها الفاطميون سنة 297هـ[1].

---

1 - خليفات، الأصول التاريخية، ص. 52.

- أنظر: ابراهيم بن يوسف، الحكم والسياسة، ص. 47.

6 - العقائد الإباضية:

يمكن إستخلاص بعض العقائد الإباضية فيما يلي:

- الصّفات الإلاهية: وهي عين ذات اللّه، نفيا لتعدد القدماء.

- رؤية اللّه لا تتحقق للإنسان لا بالعين المجردة ولا بغيرها مع تأويل قوله تعالى "وجوه إلى ربّها ناظرة".

- القرآن مخلوق عند قسم منها المغاربة خاصة، وغير مخلوق عند القسم الآخر.

- الخلود في الجنة والنّار أبدي.

- الإنسان حر في إختياره.

- الإيمان قول وتصديق وعمل وليس قولا وتصديقا فقط دون عمل.

- ولاية المطيع والبراءة من العاصي والوقوف عند الضرورة واجب.

- النفاق منزلة بين الشرك والإيمان، ولا منزلة بين الإيمان والكفر.

- إذا أطلقت كلمة الكفر على الموحد، فالمقصود بها كُفر النعمة لا كُفر الشرك.

- مصادر التشريع هي القرآن والسنة والرأي، وهذا الأخير قد يأتي في بعض الأحيان بمعنى الاجتهاد أو الإجماع أو القياس.

- الصّحابة كلهم عدول وروايتهم مقبولة إلاّ في الأحاديث المتعلقة بالفتن ممن خاض في الفتن.

- الإمامة فرض، ولا تنحصر في جنس، وإنّما شرطها هو الكفاءة الشرعية.

- الإمامة أربعة أنواع وتُعرف عند الإباضية بمسالك الدّين.

لعلّ السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لجأ الإباضية لمسالك الدّين؟، أو بالأحرى لماذا أطلقت هذه التسمية؟

لكن قبل أن نتطرق للإمامة ومسالك الدّين لدى الجماعة الإباضية لا بد لنا التعريف بإيجاز لكل من الخلافة والإمارة.

7 - الخلافة:

موضوع الخلافة من المواضيع الحسّاسة التي أثارت نقاشًا وجدلاً، واختلفت عبر فترات الحكم الإسلامي في مفاهيمها وتطبيقها، فلكل مرحلة مبررات قامت على إثرها خلافة، إذ أنّ هناك من يراها ضرورية ومطلبا دينيا وهناك من يراها واجبا إجتماعيا من أجل تنظيم المجتمع الإسلامي[1].

في كتاب اللّه نجد لفظ "خليفة" في عدة مواضع منها قوله تعالى: "وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة". ومعناها قوما يخلف بعضه بعض[2].

وكذلك في قوله: "يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق[3].

ومعناها: إستخلفناك على الملك في الأرض لأن داود كان ملكا ونبيا[4].

---

1 - الخطيب عبد الكريم، الخلافة والإمامة ديانة وسياسة، دار الفكر، 1963، ص. 192-193.

2 - سورة البقرة، الآية 3.

3 سورة البقرة، الآية 26.

4 - القاسمي ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، بيروت، 1977، ص. 117-118.

الخلافة تعني رئاسة الدولة الإسلامية، غير أنّها عرفت عدة مصطلحات لكن يبقى تفسيرها واحد، إذ عرّفها العديد من علمائنا بأنّها رئاسة عامة في أمور الدّين والدّنيا، أو بأنها خلافة الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم في إقامة الدّين، حيث يجب اتباع الخليفة.

أمّا في العرف العام عبّر عليها بالزّعامة العظمى، وهي القيام بأمور الأمّة، لكن الظّاهر أنّ الخلافة والقائم بها أي الخليفة عبر العصور أصبح لها مدلول آخر، وذلك لما عرفه الخليفة من مكانة رفيعة بعد الفتوحات الإسلامية، فقد كان الخليفة وهو أمير المؤمنين قائداً للجيوش الإسلامية الفاتحة، وهو الإمام جمع بين الجانب الرّوحي والمادي.

لعلّ هذا ما جعل ابن خلدون حين عرّف الخلافة أنّها نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدّين وسياسة الدّنيا به، تُسمى خلافة أو إمامة والقائم بها خليفةً وإماماً، تسميته إمامًا فتشبيها بإمام الصلاة واتباعه والاقتداء به، ولهذا يقال الإمامة الكبرى، وأمّا تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته فيقال خليفة بإطلاق، وخليفة رسول اللّه صلّى اللّ عليه وسلّم[1].

لذا فالأمثل أن يكون خليفة المسلمين إماما يجمع بين الجانب الرّوحي والمادي، فيكون عادلا منصفا لأمته وفاتحا ينشر الدّين الإسلامي.

---

1 - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، بيروت (د. ت)، ص. 150.

8 - الإمارة:

الإمارة تكون نوعان، إمارة على البلاد وإمارة على القتال، فالإمارة على البلاد ظهرت منذ العهد الإسلامي الأول حين ولّى الرسول عليه الصلاة والسلام ولاة لبعض الأقاليم، واتبعه في ذلك الخلفاء، إذ كان الخليفة أبو بكر يختار للولاية أكثر أصحابه علما وأحسنهم عملاً.

أما الإمارة على القتال فتكون إمارة على الجهاد في سبيل اللّه ومحاربة غير المسلمين والمرتدين[1].

---

1 - مدكور محمد سلام، معالم الدولة الإسلامية، الطبعة الأولى، الكويت 1983 ص. 406.

9 - الإمامة عند الإباضية:

نظرا للظروف التاريخية الصعبة التي عاشتها الحركة الإباضية بعد سقوط تيهرت لجأت إلى سياسة الكتمان فأصبحت الإمامة الإباضية تعتمد على أربعة مراحل، لكل منها خصائص، عرفت بـ "مسالك الدين"، وهي ضرورية للاستمرار والتكيف مع الوضع الذي آلت إليه الحركة الإباضية، وهي في نظرنا وسيلة عبرت من خلالها على هدفها في إقامة حكم ديني عادل والحفاظ على المذهب، وهذا لا يتسنى إلاّ بعد أن تسترجع قوتها وتجمع شمل الإباضيين الذين إفترقوا.

بمكننا إستخلاص "مسالك الدين" عند الإباضية فيما يلي:

أ - الظهور: تعبر عن الأوضاع السياسية والدينية المستقرة، وبتوفر القوة الدفاعية وبصفة عامة عندما تستوفي شروطها لتأسيس دولة إباضية المذهب، تختار الجماعة من بينها من يحكم علنا لكتاب اللّه وسنة رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم، هنا يرى شيخ الإباضية أن تنصيب الإمامة واجبة، فيقوم الإمام بالظهور بإعلان الإمامة وتقليد المنصب (الإمامة الرستمية)[1].

1- أسماوي، نظام العزابة، ص. 5.

ب - الدفاع: هي مرحلة بين الظهور والكتمان، وإذا كان الإباضية في طور الكتمان وهاجمهم العدو، في هذه الحالة وجب عليهم إعلان حالة الدّفاع عن النفس، ويعقد الإمامة للأقوى بينهم يعرف باسم - إمام الدّفاع - له صلاحيات إمام الظهور، لكن تزول عنه صفة إمام الدّفاع عندما يزول الخطر أي عندما يستتب الأمن سواءً كان الخطر داخلي أو خارجي، وفي هذه الحالة ليس لإيمان الدفاع الحق أن يستمر في إمامة المسلمين، إلاّ إذا أختير لذلك، وتقوم الجماعة وهي فئة الشيوخ العزابة والعلماء بالإعلان عن الانتقال من مرحلة الدفاع إلى الظهور.

للإشارة في هذه المرحلة إذا هزمت الجماعة الإباضية وُجب عليها اللّجوء إلى التقية.

ج - الشراء: في هذه المرحلة يخرج الإمام مع من بايعوه على الجهاد في سبيل اللّه يُعرفون بـ "الشراة" لأنهم إشتروا الدنيا بالجنة، لا يجوز لهم اللّجوء إلى التقية، لأنهم يجاهدون في سبيل اللّه.

د - **الكتمان:** هي مرحلة الضعف، لا تستطيع الإباضية مبايعة إمام يقيم فيها أحكام الله وحدوده، لذا تركن إلى السرية وتتحتم عليها الخضوع للسلطة الحاكمة، تتجمع قوتها وتتبع سياسة البناء والإصلاح الداخلي لكن بعيدا عن الممارسة السياسية.

لعل أبرز وأهم مرحلة "الكتمان" هي وضعية المغرب الإسلامي الأوسط بعد سقوط الدولة الرستمية وانتقالهم عبر مختلف قصور وواحات الصحراء منها وارجلان وميزاب موضوع بحثنا.

فكيف إنتشر المذهب الإباضي بالمغرب، وماهي الظروف التي أدت بالإباضيين إلى الاستقرار بوادي ميزاب؟

II - الحركة الإباضية بالمغرب:

إتبع الولاة الأمويين سياسة تعسف واضطهاد في حق الأهالي البربر وغالبا ما اتبعت هذه السياسة ثورات عبرت في مجملها عن رفض هؤلاء لحكم الولاة الأمويين في بلاد المغرب، هذه الظروف كانت ملائمة لتقبل أفكار قد تخرج الأهالي مما يعانوه من ظلم وجور، إذ وجدت الأفكار المذهبية التي لم يكتب لها النجاح في بلاد المشرق أرضا خصبة لتحقيقها ببلاد المغرب.

تؤكد المصادر الإباضية أن أوّل من قدم من الدعاة إلى المغرب (القيروان) هو سلمة بن سعد الخضرمي، بعثه أبو عبيدة لتفقد مدى ولاء الأهالي للحكام الأمويين، وقوة تقبلهم للحركة، وذلك مع الدّاعي الصفري عكرمة مولى بن عباس (لم يحدد تاريخ قدومهما).

علما أن مذهب الإباضية قد بلغ ذروته في طرابلس في كل من قبائل هوارة، زناتة ونفوسة، ففي طرابلس كان أول من ترأس الإباضية عبد اللّه بن مسعود التجيبي الذي قُتل من قِبل إلياس بن حبيب عامل أخيه عبد الرحمن بن حبيب سنة (126هـ/743)م فثار الإباضية لمقتل رئيسهم، فعزل عبد الرحمن أخاه لتهدئة الأوضاع، موليا حميد بن عبد اللّه العكي.

لكن على ما يبدو أن ثورتهم لم تهدأ فثاروا بقيادة الحارث بن تليت الخضرومي وعبد الجبار بن قيس المرادي محاصرين حميد بن عبد الله في طرابلس الذي خرج بعهد أمان حين أصابه مرضًا، هذا ما جعل عبد الجبار يستولي على زناتة وأراضيها فصمم بن حبيب على محاربتهم لكن إستطاعوا أن يهزموه سنة (131هـ/ 748)م ، فاستولى عبد الجبار والحارث على طرابلس.

الملاحظ أن هذه الإنتصارات لم تأت بنتيجة لمقتل كل من الحارث و عبد الجبار في ظروف غامضة وجدا قتيلين و سلاح كل واحد منهما في الأخر[1].

أثرت هذه الحادثة في نفوس الإباضيين الذين لم يستطيعوا تنظيم أنفسهم ، إلا بعد عودة حملة* العلم الخمسة من مدينة البصرة ، فأسندت الإمامة لأبي الخطاب سنة 140هـ/757م فاستولى على طرابلس إذ إمتدت هذه الدولة على كامل المغرب الأدنى من جزيرة جربة، جبل دمر و قابس و القيروان، لكن لم تمر إلا أربع سنوات فسقطت على يد ابن الأشعث سنة 144هـ/ 761 م في معركة تاورغا، قبل أن تصله إمدادات عبد الرحمان بن رستم (ولاه أبو الخطاب قاضيا على القيروان) الذي فر بعد مقتل و هزيمة أبو الخطاب[2].

---

1 - محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984، ص. 95-96.

عن مسألة مقتل عبد الجبار و الحارث أنظر :الباروني مختصر الإباضية ، ص 32-33.

* حملة العلم الخمسة هم :أبو الخطاب عبد الأعليين سمح المعافري، عبد الرحمان بن رستم ، عاصم السدراتي، إسماعيل بن مدرار، أبو داود القبلي.

2 - المرجع السابق، ص. 103-104.

نامت الدولة الرستمية نتيجة لهزيمة أبي الخطاب على يد إبن الأشعث و فشل عبد الرحمان في إمداده بالجيش، هذا ما جعله يفر من القيروان مع إبنه عبد الوهاب و عبدا لهما و تبعه ستون شخصا إباضيا من طرابلس، لحق بإباضي المغرب الأوسط فنزلوا على قبيلة لماية حيث تربطهم علاقات طيبة بهم، حينها إجتمع أهل المذهب و بايعوه إماما عليهم، فتم بناء مدينة تاهرت سنة 161هـ/777م عرفت أزهى مراحل الإباضية، و إزدهارا في كل المجالات خاصة العلمية منها[1].

يمكن إعتبار قيام الإمامة الإباضية بتاهرت بمثابة المرحلة الحاسمة في تاريخ الإباضية، فهي باكورة جهد الأئمة الأولين، إذ إمتدت سلطة تيهرت من تلمسان غربا حتى طرابلس شرقا، و في الشمال الغربي كانت حدود المملكة تمتد حتى البحر الأبيض المتوسط عند مرسى الفروج، و من الشمال الشرقي حتى مرسى الخرز و تشمل مرسي الجزائر و مرسي بجاية.

هذه القبائل شملت كلا من لماية، سدراتة، مزاتة، زناتة، لواتة، مكناسة، غمارة، زواجة، هوارة، نفوسة، كل قبيلة من هذه القبائل تضم الإباضية و غيرهم فالقبائل الإباضية و هي كلها من دعائم الدولة وأنصارها وأعوانها وجواسيسها وعلمائها ورجال مالها وسلاحها، أما القبائل -و هي نفسها - التي تضم الإباضية و منها غير الإباضية الذين ينضمون تحت سلطة و حماية و رعاية الدولة الرستمية، و لكن من غير المستبعد

---

1 - جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص. 27-28.

أنهم يعملون في الخفاء ضد الدولة و مصالحها لماذا؟ لأنهم كانوا يشعرون بنوع من التهميش و الإقصاء الخفي و غير المعلن، هذه الفئة الإجتماعية القبلية تحولت تدريجيا إلى قوة سياسية ساهمت و ساعدت العبديين على إسقاط الدولة الرستمية، أما من الناحية الجنوبية فقد شملت عددا من الواحات أهمها وادي ريغ، وارجلان، الزاب، و جزء من الجريد يوجد ممر يمتد بين جزء من الحضنة و الزاب و جبل أوراس يقطنه الإباضيون يمثل حلقة وصل بين إمامة تاهرت و بين المناطق المأهولة في جنوب تونس و طرابلس .

أما المناطق الشرقية التي يتواجد بها الإباضية في أوائل القرن الثالث الهجري تظم كلا من منطقة قفصة قسطيلية، قنطرارة، تفزاوة، و جبل نفوسة الذي يعتبر القاعدة الإستراتجية والخلفية للدولة الرستمية، لعل هذا ما جعل ثاني أئمة الدولة الرستمية الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم 171-190هـ 787-805م يقول :"إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة و أموال مزاتة"[1]. و المقصود بالدين المذهب الأباضي ،يمتد من الجنوب الشرقي التونسي و يشمل جميع ولاية طرابلس (ماعدا المدينة).

يتبين لنا أن الدولة الرستمية كانت تحيط بدولة الأغالبة من جميع الجهات ما عدا شريط يمتد من الشمال، إذ كانت رقعة هذه الدولة في القرن الثالث الهجري لا تتجاوز الشمال التونسي وجزء من الشمال الشرقي الجزائر[2].

---

1 - الشماخي، السير، ص 267.

- أبو زكرياء سير الأئمة، ج. 1، ص. 103.

2 - أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق و تعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، 1979، ص 9-10.

علما أن الدولة الرستمية عرفت في أواخر أيامها صراعات مذهبية، وكذا محاولة الولاة الإستقلال بما ولوا عليه أو إقتطعوه لأنفسهم، إلى جانب قطع الأغالبة لطريق الإتصال بين تيهرت و المناطق الشرقية، كانت كلها ضربات قاسية هزت أركان الدولة الرستمية، إلى أن تعرضت لضربة قاضية في معركة "مانو"سنة 284هـ/897م بين طرابلس و قابس حين ألحق إبراهيم بن الأغلب هزيمة منكرة بالإباضيين، ففي هذه المعركة تحطمت شوكة نفوسة التي كانت بمثابة العمود الفقري للدولة الرستمية، بقيت تتلاشى شيئا فشيئا إلى أن سقطت نهائيا سنة 296هـ/909م على يد العبيديين، ولم يكن أمام أخر الأئمة الرستمين أبي يوسف يعقوب إلا الفرار مع أسرته و أعيانه إلى سدراتة.

يذكر لنا التاريخ ثورتين أترثا على مصير المذهب الإباضي، و هما ثورة أبي يزيد مخلد* بن كداد (ثورة نكارية).

---

* مخلد بن كداد بن سعد الله بن مغيث اليفراني، ولد حوالي 270هـ/883م بالسودان، تعلم العلوم من العلماء البارزين، سافر إلي سجلماسة مع أبي الربيع سليمان بن زرقون لدى العالم إبن الجمعي الذي قدم من المشرق، و إثر رجوعه أصبح نكاريا و هم أشد تعصبا من الوهبية، أنكروا إمامة عبد الوهاب بن رستم لذا سموا بالنكارية، و حسب المؤرخ إبن الصغير قاد ثورة من جبال الأوراس على الفاطميين، كان يركب حمارا فسمي بصاحب الحمار، فشل في ثورته و قتل سنة 336 هـ/943م.

أنظر: أبو زكرياء، السير، ص 116...122 .

الدرجيني، طبقات، ج 1، ص 96...102.

ثورة أبي خزر** يعلى بن زلتاف (ثورة وهبية) و هي أخر ثورة قام بها الإباضية في بلاد المغرب، بعد هذه المحاولة التي با ءت بالفشل، تحول الإباضية إلى مرحلة الكتمان، و تقلصت أعدادهم بافريقية، حيث نزحوا إلى الصحراء سواءا إلى بلاد الجريد أو إلى وارجلان [1].

هذه الأحداث في مجملها تعتبر منعرجا مصيريا في تاريخ الإباضية مما أحدثته من تغيرات سيعرفها هؤلاء.

** أبي خزر يعلى بن زلتاف، هو أحد علماء الإباضية من أهل الحامة بإفريقية، برع في العلوم كان تلميذ الشيخ سحنون بن أيوب، و أبي الربيع سليمان بن زرقون، أصبح معلما في الأصول و القرأن و الفقه والحديث.، للمزيد إرجع: الدرجيني، طبقات، ج 2، ص 119...120.

1 - عن الثورتين إرجع: مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب، ص 65...112.

- أسماوي، نظام العزابة، ص. 7... 8.

فرار الإباضين إلى سدراتة و وارجلان :

بعد سقوط الدولة الرستمية على يد أبي عبد الله الشيعي، فر أخر أئمتها يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب مع أسرته و أتباعه و حسب الشماخي كانوا في أعداد كبيرة حتى أنه في ليلة و هم في طريقهم ولد لهم سبعون ذكرا[1].

للإشارة أن الإباضين حينما توجهوا إلى سدراتة في وارجلان، أسسها عاصم السدراتي يظهر أن الشماخي قد بالغ عند ذكره لعدد الذكور الذين ولدوا في ليلة واحدة و الذين قدروا بسبعين، فلا يعقل أن يزداد أطفال وذكور بهذا العدد و في ليلة واحدة، هذا إن قدرت المسافة القطوعة بين تيهرت و سدراتة بأربعة أيام،فعلى الأقل يرتفع العدد إلى مائة و أربعين ذكرا دون البنات لم يشر إلى عددهن فهل كان ذلك قصدا ؟ أم أن المجتمع الأباضي يفضل الذكور على الإناث؟ وهو من حملة العلم، بعد عودته من البصرة، إلتجأ إلى جنوب المغرب لنشر الدعوة الإباضية هناك بين قبائل سدراتة التي ينتسب إليها حسب الباحث علي يحي معمر فإن بلاد سدراتة منسوبة إلى شعب من شعوب البربر من بطون زناتة يسكنها من إعتنق المذهب الإباضي قديما ، و لم ينزحوا عنها إلا بعد أن خربها يحي بن إسحاق المايورقي المعروف بابن غانية سنة 624 هـ عند ثورته على الأمير يعقوب بن المنصور[2].

---

1 - الشماخي، السير،ص ، 365.

2 - علي يحي معمر ، الإباضية في موكب التاريخ، ج 4، ص 390.

عقب ذلك إختلفت معالم حضارة سدراتة تحت الرمال التي لا زالت تحتفظ بأسرار عظمة هذه المدينة، إذ عاشت إزدهارا في كل المجالات و ذلك ما كشفته الباحثة الألمانية " مارغريت فان برشم" و هي من أصل سويسري سنة 1952م والتي فرت بصناديق محملة بالآثار كشف عنها صديقها "كارل سوتر" حين زار منطقة ميزاب ما بين 1955-1956م فدراسة هذه الأخيرة بينت أن المدينة غطتها الرمال،إذ أخرجت عدة نقود ذات أسلوب في الزخرفة و أشكال هندسية و ألوان متنوعة، و يذكر علماء الأثار أن سدراتة كانت متكونة من ثلاثمائة و خمسة و عشرين قرية، ولها ألف وإحدى و خمسون ينبوعا إلى جانب وجود المياه المتفرعة في المدينة إذ تصل واحدة منها إلى وارجلان[1].

هذا إلى جانب الكشف عن قصر يحتوي على أربع و تلاثين غرفة بإرتفاع يقدر بأربعة أمتار و بأعمدته نقوش عربية، فكانت سدراتة في عهد الرستمين على شكل مستطيل طولها كيلومترين و عرضها كيلومتر، ذات قرى عديدة بها سور و أبراج للمراقبة و شبكة قنوات المياه[2].

---

1 - رشيد بورويبة الفن الرستمي بتاهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، منشورات الشؤون الدينية، العدد 41، 1977، ص 191.

2 - نفسه، ص. 190-191.

قبلها سنة 1878م إكتشف المنقب و الباحث "لارجو" عدة بيوت مدفونة تحت الرمال، إلى جانب أنقاض جدران مسجد و أثار بلاط و أحواض صغيرة محفورة في الأرض مبنية بالإسمنت، تصلها المياه عبر القنوات، بعدها سنة 1881م قام الباحث "هارولد طاري" بتنقيبات مسجلا نتائج قيمة في بحتين كشف من خلالهم على مصلى و بعض الحجرات المزينة برسوم تمثل ثلاثة جنود من المشاة مسلحين برماح و عددا من الحيونات، إلى جانب فرسان يركبون المهاري[1].

من خلال ما سبق يظهر أن قضية الأرقام عند الإباضية مرتبطة بالدين و المذهب الإباضي وهذه كلها مبنية على عدد أركان الإسلام، عددالصحابة، أي الخلفاء الراشدين، أيام الأسبوع وعدد السموات و أبواب الجنة.

لم يبق من سدراتة سوى أطلال تحت الرمال، و مع هذا فإن الإباضيين يأتون كل عام في نهاية شهر أفريل من وارجلان و الجريد و وادي ميزاب لزيارة مسجد و مقبرة "أبي صالح جنون بن يرمان"و ضريح الإمام "بن أفلح يعقوب"[2]*.

الظاهر أنه لا وجود لهذا القبر، لهذا يميل الؤرخون إلى أنه وهمي.

يتبين لنا أن الإباضيين عندما فروا من تاهرت لم يجدوا منطقة سدراتة صحراء، بل وجدوها عامرة فأضافوا إليها ما عرفوا به من فنون ، خاصة و هم أصحاب فن و حضارة راقية.

---

1 - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص. 154.

عن مدينة سدراتة انظر: محمد بلغراد، مقال الحركة الإباضية في تاهرت و سدراتة، مجلة الأصالة، العدد 41، 1977،

2 - مزهودي، الإباضية، ص. 57.

* أبو صالح جنون بن يرمان هو حاكم وارجلان، عاصر الدولة الرستمية في أيامها الأخيرة و هو الذي طلب من الإمام يعقوب بن أفلح إحياء الدولة الرستمية.للمزيد إرجع: علي يحي معمر، الإباضية، ج، 4،ص. 162.

كما ذكرنا سابقا أن كلا من سدراتة و وارجلان كانتا تربطهما بالدولة الرستمية علاقات حسنة، فوارجلان كانت تحت سلطة الشيخ "جنون بن يرمان" الذي عرض على "يعقوب بن أفلح" أن يوليه على أهل وارجلان لكن هذا الأخير رفض قائلا "لا يستتر الجمل بالغنم" وذلك لضعفه، مفضلا إمامة الكتمان على إمامة الظهور خاصة أنه يعلم بتحركات الفاطميين الذين لم يهدؤا لهجرة أخر الأئمة الرستمين و من تبعهم من الإباضين إلى وارجلان، إذ سرعان ما لحقت حملة لمحاربتهم غير أن يعقوب بن أفلح تصدى لها عن طريق الحيلة حين إعتصم بجبل كريمة على بعد كيلومترات من جنوب وارجلان.

بوصول أعداءهم حاصروهم في ذلك الجبل كي يموتوا عطشا و جوعا، أحضر أصحاب يعقوب جفان كبيرة ملئت بالزيت وقدمت للجمال التي تمكن منها العطش، أقبلت عليها معتقدة أنه الماء، وحين وجدته زيتا لفظته من أفواهها، فاعتقد المحاصرون أنهم يعطون لها، لجمالهم، حينها تبين لهم فشل الحصار[1].

---

1 - الدرجيني، طبقات، ج، 2، ص 65-66.

- علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج. 2، ص90.

بقي الإمام أفلح بن يعقوب في وارجلان التي عرفت أزهى مراحلها علميا و تجاريا إذ كان يقصدها الشيوخ و الطلبة الإباضين من كل الجهات، غير أن تعرضهم للمقايضات من قبل المالكين، إذ عاشوا في صراع مستمر مع أهل المدينة حين إعتبروهم منافسين سابقوهم بنشاطهم و مهاراتهم، فسدراتة وهي المركز الثاني للإباضية كانت هدفا للغارات المتوالية التي شنها الغزاة، جعل سكانها يهجرونها بعد أن خربها المايورقي سنة 624هـ، أحدثت إضطرابا على منطقة أريغ ووارجلان، و مما زاد الطين بلة أنه مع أوائل القرن الخامس الهجري، عرفت منطقة أريغ ووارجلان جفافا كبيرا لسنين ألحق أضرارا جسيمة على الأهالي و الماشية.

من أجل الدفاع عن عقيدتهم و هم شديدوا التمسك بها إلتجأ هؤلاء إلى ميزاب رغم بعدها و قساوة طبيعتها[1].

1- Govion (E),Monographie du Mzab;Casablanca, 1926, p.p 5-6.

علما أن أهل أريغ تعرضوا للسرقة و قطع الطريق و الظلم من قبل بني ورماز*، هذا ما جعل أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي يحث أهل أريغ على دفع الظلم عنهم، وحين لم يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم بحجة الضعف لجأ هذا الأخير إلى وارجلان وذلك من أجل تأمين الطريق للعزابة الذين يفيدون إليه فيقتلون في أريغ، أما في فصل الربيع فكانت له رحلات في بادية بني مصعب لفساحتها و هوائها النقي، و أوديتها و خصبة مراعيها التي كانت مورد رزق لطلبته وماشيتهم، و من خلال رحلاته المتكررة لبادية بني مصعب ربطته بهم علاقات حميمة.

باشتداد الضغوطات على الإباضين كان لا بد من إيجاد وسيلة للخروج من هذا الوضع الحرج، ففكر زعماء الإباضية و على رأسهم أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي الذي يعتبر مؤسس المذهب الإباضي بميزاب، وواضع نظام* الحلقة و العزابة في عقد إجتماع -وادي أريغ- المنعقد سنة 402 هـ حضره أعيان المنطقة و رؤساء الإباضية و أهل الحل والعقد لدراسة الوضع المتردي الذي يعيشه الأهالي الإباضين في وارجلان، وبالتالي التفكير في التوسع نحو الجنوب للحفاظ على مذهبهم(1).

---

* بني ورماز، هي قبيلة زناتية بدوية سكنت أريغ، وفرع منها سكن وارجلان إشتهرت في المنطقة بالسطو والنهب و قطع الطريق و شن الغارات على المسافرين فكانت سببا في هجرة أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي وتلاميذه من أريغ إلى وارجلان، للمزيد أنظر: عمر سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، رسالة ماجستير الجزائر، 1992، ص 90.

* سيأتي الحديث عن نظام العزابة في فصل لاحق.

1 - عبد الله نوح، النظم التقليدية العرفية بوادي ميزاب، رسالة ماجستير، الجزائر 1994 ص 14.

2- الإستقرار بوادي ميزاب:

يجمع المؤرخون على أن تحول بني مصعب من المعتزلة إلى المذهب الإباضي يرجع إلى الدعوة التي قام بها الداعية أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي في أواسط بني مصعب بعد إنعقاد إجتماع أريغ، لكن هذا لم يمنع بأن أولى الدعوات كانت قبل الإستقرارفي بادية بني مصعب.

فالباحث الإباضي "إمتياز إبراهيم"في مخطوطه "كتب في بعض التواريخ" يرى أن الإجتماع إنعقد في أريغ حوالي (402) هـ للنظر في مسائل تهم الوطن منها قضية اللاجئين من فلول رعايا بني رستم... و قد غص أريغ بسكانه و بأولئك اللاجئين فاقتضى رأي الإجتماع على إنتداب العلامة أبو بكر النفوسي ليجول في صحراء جنوب المغرب الأوسط، عله يجد ما عسى أن يمكن التفسح فيه لأولئك اللاجئين و غيرهم من الإباضية بأريغ، فخرج العلامة برفقة إبنه و غلامه ساحوا في نواحي الجنوب، وقع إختيارهم على وادي ميزاب، إلا أنه معمور بكثير من المعتزلة فانعقد الإجتماع ثانية ليتفق الأئمة على النزوح إلى بادية مصعب و تعميرها[1].

---

1 - إبراهيم إمتياز، كتب في بعض التواريخ، مخطوط، جمعية أبو إسحاق محمد اطفيش، غرداية، 1972 ص 52 .

من نتائج إنعقاد الإجتماع أن بدأت الهجرات نحو ميزاب و قد حددها الشيخ "إبراهيم إمتباز"من خلال مخطوطه إلى إحدى عشرة طائفة، حسبنا أن هذا العدد مرتبط بالجانب الديني و كذا المبالغة عند التطرق لقضية الأرقام والأيام و هنا عدد الطوائف مقتبس من القرأن الكريم، "إني رأيت أحد عشر كوكب ..."

كانت عبر مراحل إستطاع من خلالها الإمام أبو عبد الله النفوسي أن يؤسس مدرسة بالعطف سنة 425 هـ توافد عليها رجال العلم بأربغ و فيها تأسست أول حلقة لنظام العزابة.

للإشارة أن بني مصعب كانوا معتزلة منذ أن إعتنقوا الإسلام، لكن بعد منتصف القرن الثاني الهجري بدأت المعتزلة ترى ظهور مذاهب أخرى تخالفها في الأصول و الفروع، فالدولة الرستمية 160هـ، و الإدريسية 172هـ، و الدولة الأغلبية 184هـ، لم تكن معتزلة هذا رغم إنتشار المعتزلة في أنحاء الجزائر، لكن ضعفها حال دون إنشاء دولة لها[1].

---

1 - علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج 4، ص 451.

بانتشار المذهب الإباضي في بادية بني مصعب، و نتيجة للمخاوف التي كان يصورها دعاة المعتزلة بين الأهالي تحذيرا من الإباضية و قوتهم، كان رد فعل المعتزلة عنيفا تجاه هؤلاء، إذ عرفت هذه الفترة مجابهات بين المعتزلة والإباضية إلى أن سقطت الدولة الرستمية، فبدأت الأفكار الإباضية تلقى إستجابة لدى المتعصبين الذين تأثروا بشخصية أبو عبد الله النفوسي و بمبادئ الإباضية، لكن بعد أن ضحى هذا الأخير بابنه إبراهيم وكثير من الإباضية ذلك مايظهر من أثار مقابر المعتزلة الموجودة بالعطف[1].

بظهر أن المعتزلة في بداية الأمر كانوا أقوياء حاربوا الإباضية في تاهرت، لكن ضعفهم تحولوا إلى المذهب الإباضي عن إقتناع و وعي[2]، دافعوا عنه فأصبحت بادية بني مصعب ملجأ للإباضية الذين توافدوا من كل الجهات، و غير بعيد أن يكون إختيارهم لميزاب مقصودا، و ذلك من أجل التهرب من الظهور و التجمع في ناحية معتبرة، بل إتجهوا إلى صحراء قاحلة بعيدة عن أنظار العدو، دفاعا عن عقيدتهم، ومن أجل البقاء إعتمدوا نظاما إجتماعيا تربويا، تمثل في نظام العزابة لا زال سائدا إلى يومنا في ميزاب.

---

1 - بكير بن يوسف، تاريخ بني ميزاب، ص، 25.

2 - اطفيش ، الرسالة الشافية، ص، 38.

الفصل الثاني
نظام العزابة وآثارها على المجتمع الميزابي

1 - نشأة نظام العزابة:

منذ ظهور المذهب الإباضي بالمشرق ثم المغرب، تعرض لعدة ظغوط ومعاناة رغم ما قدمه معتنقوه من مساهمات في مختلف المجالات،سياسية كانت أو إقتصادية أو دينية، إذ كانت الدولة الإباضية الرستمية مركز إشعاع ثقافي في بلاد المغرب فتعددت حلقات الجدل والمناظرات مع أهل السنة، لكن مع سقوط هذه الأخيرة تشتت الإباضيون في أنحاء المشرق والمغرب وإفريقية، فكان لزاما عليهم العمل من أجل جمع شملهم خاصة أنهم عاشوا في جماعات منعزلة عن الصراعات السياسية مع نهاية القرن الرابع الهجري، وعلى إثر هذه العزلة إجتمع العلماء بوارجلان مع بداية القرن الخامس الهجري لدراسة أحوالهم السيئة، فكان الحل في أن توصلوا لإتخاذهم هيئة داخلية تمكنهم من الحفاظ على عقيدتهم، علما أنهم إنتهجوا سياسة الكتمان، ذلك ما تجلى في قول آخر الأئمة الرستميين أبي يعقوب حين عرضت عليه الإمامة قائلا له: " لا يستتر الجمل بالغنم" وذلك لضعفهم وعدم قدرتهم على الظهور والمواجهة.

إذا كان الحل في انتهاجهم لنظام عرف بنظام العزابة، نظام تربوي لازال إلى يومنا هذا في كل من بلاد المشرق بعمان وإفريقية بزنجبار أما في المغرب فليبيا، تونس (جربة)، الجزائر في منطقة ميزاب.

أول ظهور للعزابة كان عبارة عن حلقة تجمع الطلبة حول شيخ يدرسهم مبادئ المذهب لعدة سنوات، يقومون بمرافقته عند زيارته للجماعات الإباضية في كل مكان توجد به.

لكن قبل التطرق لنظام العزابة ودوره في المجتمع الإباضي لا بد لنا من الإجابة على الأسئلة التالية:

ما هو أصل كلمة العزابة؟ كيف وأين ظهرت؟ ما هو النظام؟ هل هو نظام ديني مذهبي محض؟ أم هو اجتماعي ثقافي؟ أم هو سياسي واقتصادي؟ أم هو هذا كله؟

أصل العزابة لغويا عَزَبَ، يَعْزُبُ، عُزوباً، بمعنى تغيب الرجل عن أهله أو ماله، ولها مدلول آخر، وهو العزوبة بالنسبة للرجل الذي لم يتزوج بعد، فهو عازب، أعْزَبْ جمعه عُزابْ للرجل والمرأة على حد السواء.

ولفظة العزابة حسب الدرجيني أصلا تطلق على كل فرد لازم الطريق طالبا العلم و المعرفة وعمل على نشر الخير وإصلاح الجماعة[1] .

إذن إن أصل العزابة من العزبة والعزلة والتصوف، تطلق على جماعة من أهل الدين والورع في مجلس ديني يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، بكل ما يمكن من فعل أو قول [2].

---

1 - الدرجيني (أبو العباس)، طبقات المشايخ بالمغرب، حققه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، ج 1 ص 3.

2 - جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن (3 و4هـ/9-10)م، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، ص. 263.

يُعرف النظام باسم الحلقة ما يرادف مجلس العزابة[1]. والحلقة أُخذت من التحليق وهو الاستشارة، لأن العزابة في اجتماعاتهم يجلسون على شكل حلقة أو دائرة للمناقشة والنظر في كل المسائل التي تخص المجتمع، هذا إلى جانب تلاوة القرآن الكريم[2].

يُعتبر أبو عبد الله بن بكر النفوسي مؤسس الحلقة وهي أساس نظام العزابة، إذ حاول وضع قوانين تنظيمية للحلقة، غير أنه لم يكن السباق لذلك، بل من الشيوخ من حاول تنظيم الحلقة، لكن الظروف المُزرية التي عاشها المجتمع الإباضي في القرن الرابع الهجري حالت دون تحقيق ما كانوا يصبون إليه فمثلا نجد الشيخ أبا زكرياء فيصل بن أبي مسور اليراساني، الذي عرف وأيقن أنه أصبح غير قادر على مواصلة مشروعه، لتقدم سنه، فبعث بأنجب طلبته إلى أبي عبد الله، وهو الرجل الذي رأى فيه من يحقق أهدافه، فكان الأمر كذلك، لكن بعد تفكير طويل لصعوبة المهمة وللضغوط والأضرار التي يُمكن أن تلاحقهم من جراء هذا النظام، خاصة أنهم إستعملوا التقية ودخلوا مرحلة الكتمان، كما أن حنكة الرجل جعلته يستفيد من تجارب شيوخه ومن سبقه وبما أن غايته هي المحافظة على من تبقى من الإباضية وبالتالي جمع شملهم من جديد والحفاظ على عقيدتهم، نجده يفكر في النظام في إطاره التعليمي الإصلاحي، فنظم الحلقة حين وضع قواعد أصبح يُعرف بها.

1- مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، القرارة، 1996، ص. 196.

2- علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج 1، المطبعة العربية غرداية، (د. ت)، ص. 97.

أسس أبو عبد الله* الحلقة، وهي النواة التنظيمية لنظام العزابة بمسجد المنية** بتقيوس*** سنة (408 هـ/1017)م بجموع الطلبة الذين أرسلهم أبو زكرياء، وهم ولديه زكرياء ويونس وإبن أخته أبا بكر بن يحي، وغيرهم من الطلبة الذين انطلقوا بحثا عنه من جربة، ولكي لا تموت فكرة النظام الجديد، فكر أبو عبد الله في إيجاد مكان آمن يكون بعيدا عن أنظار الحكام، فاتجه إلى وادي أريغ أين وجد كل الترحاب، وهناك أختير له غار يأوي طلبته ويكون مقرا للتدريس ونشر الأفكار الإباضية، لكن هذا لم يصبح آمنا للاعتداءات التي سُلطت على هؤلاء من قِبل قبيلة ورماز، إنتقل أبو عبد الله مع طلبته إلى وارجلان، ثم إلى سدراتة ليستقر أخيرا في وادي ميزاب، فأصبحت مقرا لنظام العزابة وفيها تأسست على يد أبي عبد الله سنة 409 هـ، ويبدو أنه كان يعقد حلقاته في قرية تاجنينت لأنه كان كثير التنقل إليها.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن هيئة العزابة تكونت من أنجب الطلبة ، وهي النخبة المختارة منهم ، وشيوخ الدين و هم غالبا ما يمثلون الحكماء، و بالتالي يرمزون للسلطة ببعدها الديني والمادي لدى المجتمع الميزابي ، فما هي شروط الإلتحاق بالهيئة ؟

---

* أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي بن أبي بكر بن يوسف، وُلد في فُرسطاء سنة 345هـ في وسط عائلة محافظة تهتم بالعلوم، تعلم على يد أبي نوح سعيد بن زنغيل وبن ماطوس بنفوسة، ثم على يد أبي خزر يغلى بن زلتاف بجربة، وأبي زكرياء فيصل بن مسور بالجامع الكبير، كان كثير التنقل، وهو الذي كان ينفق على طلبته وهو يدرسهم خاصة المحتاجين منهم.

- للمزيد راجع: الجعبيري فرحات، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المطبعة العصرية، تونس 1975، ص. 31.

** المنية، مسجد يقع بسور مدينة تيقيوس بالجهة الغربية في الطريق المؤدي إلى العامة.

*** تيقيوس، مدينة جنوب قفصة وشمال توزر، حيث شط الجريد بجنوب تونس.

2 - شروط العضوية لهيئة العزابة:

من المؤكد أن الدخول إلى نظام العزابة لن يكون إلا إذا توفرت شروط دونها لا يمكن للفرد أن يصبح عزابيا وقد حدّد الدرجيني شروط العزابة فيما يلي :

- أن يكون العزابي أديبا ، ساعيا لطلب العلم و المعرفة و لايكثر دخول الاسواق والتجمع مع الناس.

- أن ينظف جسمه بالماء ويغسل قلبه من كل حقد ومرض.

هذه الشروط الأربعة يراها ضرورية لا يمكن الإستغناء عنها وتبقى صفات يستحسن أن تتوفر فى الشخص الذي يقبل على هذه الهيئة،كالاخلاق الفاضلة والاعمال الحسنة و التواضع[1].

1 - الدرجيني (أبو العبّاس)، طبقات المشايخ بالمغرب، حققه ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج 1، ص. 171.

من هذه الشروط يظهر أن العزابي لا يبقى منعزلا عن الجماعة بل يندمج في المجتمع لمعرفة ما يدور بداخله وبالتالي يعمل على إصلاحه وتقويمه.

للإشارة أن هذه الشروط عرفت تعقيدات بعد أبي عبد الله، ففي ميزاب يمثل العزابي العشائر وفي حالة وفاته يجب أن يخلف من قبل عشيرته،أما إن لم يوجد من بين عشيرته،ينظر خارجها ،كما يحبذ أن يكون العزابي كبيرا في السن لرجاحة عقله وحنكته السديدة، وحافظا للقرأن الكريم.

وممالا شك فيه أن إدخال أو إرتقاء الشخص إلى مجلس العزابة أو الحلقة لن يتم إلاّ بقبول شيخ العزابة لذا يوضع الفرد تحت المراقبة و الإمتحان دون علمه لمدة سنة كاملة، ولاأقل من ثلاثة أشهر،حتى يتبين صلاحه، ويصبح عضوا في العزابة.

فماهي الطريقة التي تتبع لإختيار عضو جديد في الحلقة؟

3 - طريقة اختيار عضو العزابة:

بعد عملية المراقبة السرية يجتمع كل أعضاء العزابة، وهنا لايجوز على أي عضو أن يغيب خاصة المسافرأما المريض فيمكن له ذلك،في هذا الإجتماع ينظر في مسألة قبول أو رفض الشخص، وإن يقبل فبالإجماع،حتى أن إخراج أو عزل عضو من الحلقة يكون بالإجماع كذلك، عند قبوله يستدعى إلى المسجد دون معرفة سبب إستدعائه حينها يخبره شيخ العزابة أنه أصبح عضوا في الحلقة، محملا إياه مشقة المسؤولية الملقاة على عاتقه،ولا يحق للعزابي أن يرفض طلب الشيخ، وإن حدث ذلك فحتما سيعاقب[1].

وقد حدث أن حصل هذا حين عين أبو عبد الله محمد بن بكر عريفا على أهل طرابلس، فرفض هذا الأخير،فكان أن أخرجه إلى الخطة (البراءة) حتى تاب فأرجعه[2].

---

1 - نفسه، ص. 58.

2 - الجعبيري،نظام العزابة عند الإباضية الوهبية بجربة، ص. 71.

4 - لباس العزابة:

حين يدمج العزابي في الحلقة،يصبح مجبرا على لبس زي العزابة المميز عن ألبسة العامة، وهذا يتبين فيما وضعه أبو عبد الله حين وصفه قائلا:"...أنه أول مايتجرد منه طريقة أهل الدنيا بحلق شعر رأسه ثم لا يتركه يطول أبدا ، فالعزابة من شأنهم عدم الشعور،و منها لا يلبس ثوبا مصبوغا إلا البياض، ولا بأس بعلم الطرفين و الطراز ما لم يتفاحشا و إن إقتصر على عباءة و ملحفة لم يشينه و كان أليق، وإن لبس ذلك على قميص، أو قميص دون إشتمال أوالتحاف أو إرتداء، وإن اعتم فالتحلي على ما جاء في الأثر وليس لبس العمامة بضربة لازب بل لابأس باستغنائه عنها، وإن اقتصر على العباءة أو اللحاف غطى رأسه وألقى الطرف الأعلى من هذب الحاشية من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، فإن ذلك مؤد إلى انكشاف العورة"[1].

إن لباس العزابي يشترط أن يكون باللون الأبيض لتميزه على العامة، وهو يصنع من الصوف الأبيض، بطول يصل إلى عشرة أمتار وبحوالي مترين عرضا، أما العباءة فهي غير مرغوب فيها كثيرا، ونجد العزابي يلبسها في المناسبات [2].

---

1 - الدرجيني (أبو العبّاس)، طبقات المشايخ بالمغرب، ج 1، ص. 170.

- للإشارة أن للدكتور إبراهيم فخار دراسة دقيقة ومفصلة حول الموضوع.

2 - Fekhar Brahim, Les Institutions Ibadites Maghrébines au moyen age (Institution des Azzabas), Conférence, In actes du IIIème Congrés d'histoire et de Civilisation du Maghreb, p. 126.

* ما يلاحظ أن زي العزابي بسيط غير مكلف يدل على تواضع صاحبه، وهو لم يعرف تغيير رغم ما عرفته المجتمعات الإباضية من تطورات ولازال إلى يومنا هذا يلازم كل عزابي، يلبسه يوميا.

5 - أعضاء هيئة العزابة:

تتكون هيئة العزابة من** اثني عشرة عضوا، لكن هذا العدد قد يعرف ازديادا حسب الظروف والإحتياجات، وحسب عدد المساجد، للإشارة أنه لكل عضو من العزابة نائب ينوبه ويشرف على مهامه في حالة غيابه، مرضه أو موته.

ويتمثل هيكل العزابة فيما يلي:

II - هيكل العزابة:

1)- **شيخ الحلقة:** الآمر في المجتمع الإباضي، يحتل قمة الهرم بالنسبة للنظام يأتي مباشرة بعد الإمام، فشيخ العزابة عرف في مرحلة الظهور وهو الذي يرشح من يكون إماما في حالة شغور منصب الإمام.

في ميزاب يطلق "الشيخ" على صنفين، خاص وعام، فالشيخ الخاص يقوم بتسيير ورئاسة الحلقة في قريته، أما الشيخ بالإطلاق العام، فهو يختار عن طريق جميع الهيئات الدينية بميزاب، وله السلطة الكاملة على كل الناس، المنصب هذا لا يتولاه إلا شيخ العزابة في القرية التي يقيم بها، ويعرف بالشيخ الأكبر للتفريق بينه وبين شيخ حلقة العزابة في بلاده .

فما هي شروط إختيار شيخ الحلقة؟

---

* ذلك ما لاحظته في كل القرى الميزابية، فمثلا ببني يزقن يجلس العزابي بزيه في ساحة السّوق غير بعيد يلاحظ عملية البيع والشراء.

** في أيامنا يصل عدد العزابة إلى ستة وخمسين عضوا، وذلك لتزايد عدد السكان والمساجد، هذا ما أكده لنا الشيخ سليمان باكاي، عزابي وأمين الغابة في لقاء شخصي معه بمكتبه الإستقامة ببني يزقن يوم 1998/06/21.

أ - شروط اختيار شيخ الحلقة:

لا يترأس الحلقة ويلقب بشيخ العزابة كل من يكون في العزابة، إذ أنه لا بد من توفر شروط كالكفاءة والقدرة على حل المشاكل والتزود بالعلم والأخلاق الفاضلة لشيخ الحلقة يكون أعلم القوم وأقواهم شخصية [1].

أما عن اختيار شيخ العزابة، فيكون من قبل أعضاء العزابة، بعد إجراء مشاورات واسعة بين الأعضاء من ناحية، وبين الأعيان والقبائل والعشائر مع مراعاة العشائر ذات الكثافة العددية والمركز الإجتماعي والمالي. وفي حالة رفضه، لطلبهم يقترح عليهم شخص آخر تتوفر فيه الشروط اللازمة للقيام بهذه المهمة، فمهامه كثيرة اتجاه نفسه وغيره، رغم أن له كل السلطات لكن هذا لا يمنعه من استشارة أعضاء العزابة الذين لا يتكلمون إلا بإذن منه، وهو يباشر أعماله طيلة حياته، وكذا الأمر بالنسبة للأربعة المقدمين على رأس الحلقة، الذين لهم كل صلاحيات الشيخ في حالة مرضه أو سفره أو عزله نتيجة أخطاء إرتكبها أو وفاته، له مسؤولية تدريس الطلبة، و يعد المشرف المباشر على بلدته،يعلن عن القرارات التي تتخذ في كل القضايا الخاصة بالمجتمع حتى تنفذ.

---

1 - علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج 1، ص.97.

- يحدد نوعية العقوبات لكل مخالف ومتعدي على الناس والأشياء.

- المسؤول عن المسائل المالية والحسابات ودفاتر النفقات.

- يولي عرفاء الأوقاف ويصدر قرار العفو بعد التوبة في المسجد.

- يرأس جلسات العزابة ويسيرها.

- له الحق بأن يقوم بمهمة القاضي من حيث كتابة العقود وحل الخصوم.

- يختار من يترأس الحلقة، بعد مراقبة المرشح للمنصب.

الظاهر أن مسؤولية شيخ الحلقة ليست بالهينة ولخطورة هذا المنصب الذي قد يحدث وأن يغير صاحبه، كان لزاما على شيخ الحلقة أن يتصف بمزايا تجعله أهلا لهذه المسؤولية، ولعل أول عدو يواجهه هي نفسه، التي لا يمكن أن يحاربها إلاّ إذا كان قوي الإيمان، شغوفا بالعلم، بعيدا عن الطمع والكسل، متواضعا، لا يقصر في واجباته[1].

---

1 - أسماوي صالح، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة لنيل ديبلوم الدراسات المعمقة، تاريخ، الجزائر، 1986، ص. 64.

2) - **إمام الصلاة:** يشترط فيه العلم الورع وحفظ القرآن الكريم، وهو الذي يصلي بالناس، ويشرف على تسجيل عقود الزواج في المسجد، والإمام يختار من قبل شيخ العزابة ومستشاريه، ولمكانته نجده عند اجتماع مجلس العزابة جالسا على يمين شيخ الحلقة، وقد يحدث أن يترأس الحلقة عند غياب الشيخ [1].

3) - **المؤذن:** يؤذن لكل أوقات الصلاة، ويجب ألاّ يلحن حتى لايفسد الأذان، يختار من قبل الشيخ يجلس على يسار شيخ الحلقة،كما يجوز له مساعدة الإمام فى تسجيل عقود الزواج.

4) - **وكيلا الأوقاف:** يخصص عضوان للإشراف على الأوقاف والميزانية منها ميزانية المساجد، الإعتناء بمطامير التمر، و الإشراف على المسجد ونظافته، يشترط فى هذين العضوين بالإضافة للشروط العامة لأعضاء العزابة،أن لا يكونا من الأغنياء و لا من الفقراء لكن من متوسطي الحال.

للإشارة أن إختيار الوكيلين يكون من طرف شيخ الحلقة[2].

---

1 - خليفات محمد عوض، النظم الإجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان، عمان 1982، ص 36.

2 - علي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج 1، ص 98.

5) -**العرفاء**: يشرفون على التعليم و تنظيمه و تدريسه للطلبة، و هم لا يدرسون فقط بل يعملون على غرس المبادئ و أساس التربية الصالحة.

العريف حسب الدرجيني يصنف إلى صنفين، شيخ الحلقة، و العريف، يضعه في درجة أعلى لمستواه العالي، لكن مع هذا تبقى مسؤولية الشيخ أعلى.

العريف أصناف، عريف الطعام و التعليم و تنظيم أوقات الدراسة و أوقات الختمات و النوم، مهمتهم أساسا تتمثل في الجانب التعليمي و مرتبطة إرتباطا وثيقا بحلقة العزابة، كما يقوم العرفاء بتعيين أعوان من كبار الطلبة لمساعدتهم في مهمتهم.

6) - **الغسالون**:كرم الله الإنسان في حياته و موته، ومن واجب الحي على الميت غسله و دفنه، فتجهيز الميت واجب على المسلم و هو فرض كفاية، و من يقوم بهذا الواجب له ثواب عظيم.

إعتنى العزابة بهذا الجانب فعين خمسة أعضاء لغسل الميت و دفنه، مقدمين في جنازته الشيخ أو الإمام، يليهم الطلبة، فالأعيان و أقارب الميت و عامة الناس يقومون بالتهليل و التسبيح عند حمل الميت إلى مثواه الأخير،كما يجب على حاملي النعش ألاّ يتجاوزوا الستة أشخاص، وبمجرد وصولهم إلى المقبرة يوضع النعش بجانب غرفة غسل الموتى ليتولى الغسالون غسله، و يمكن أن يكون هؤلاء متطوعين أو يعينون من قبل العزابة.

كما يوجد الغسالون، خصص النظام للمرأة هينة تشرف على شؤونها هي هيئة الغسالات[1].

للإشارة أنه من كان في البراءة* لا يغسله العزابة بل يترك للعوام يغسلونه، ولا يحضر جنازته[2].

7) - **هيئة إروان:** هم مجموعة الطلبة الذين حفظوا القرأن الكريم و إستظهروه أمام شيخ المسجد، والعزابة تحتاج لأعضاء إروان الذين يمثلون العلم و المعرفة،فهي تعتبر المدرسة التحضيرية للإلتحاق بهيئة العزابة.

المؤكد أن الدخول لأروان شروط يمكن إستخلاصها في ما يلي:

- إستظهار القرأن الكريم، غير أنه في عهد أبي القاسم و أبي نوح كان هؤلاء يحملون السلاح في حالة الحروب للذوذ عن أنفسهم، في سبيل إعلاء كلمة الله[3].
- الورع والتقوى وإستقامة السلوك.
- المواظبة على حضور مجالس تلاوة القرآن الكريم.
- الصلاة في المسجد مع الجماعة (الأوقات الخمس).
- عدم التردد على الأماكن المشبوهة.

لإروان دار خاصة بهم بجوار المسجد،تعرف بدار التلاميذ* و لا يجوز أن يدخل حلقة إروان إلا باللباس الخاص بهم.

---

1 - اسماوي نظام العزابة، ص 74-75.

* البراءة، هجران الفرد المرتكب للمعاصي والمحرومات.

2 - دبوز،تاريخ المغرب الكبير،ج 2،ص 223.

3 - أبو زكريا، يحي بن أبي بكر ،كتاب سير الأئمة و أخبارهم،تحقيق إسماعيل العربي،الجزائر،1979،ج 1،ص 136.

*حاليا لهم معاهد خاصة بهم،كمعهد قطب الأئمة، ببني يزقن،معهد الحياة بالقرارة، عمي سعيد بغرداية.

8) - **أصحاب المحاضر:** يشرف على تعليم هؤلاء التلاميذ فقيه، وقد يتعداه ليصل إلى ثلاثة فقهاء، ويساعده الغسالون.

يختار الفقيه حسب شروط منها: المعرفة بعلم الخط، القراءة الجيدة، ضبط أوقات الدراسة، اللباس النظيف المستور، تعليم الحروف الهجائية، وكذا سور القرأن الكريم ومبادئ التوحيد و الأحاديث الشريفة، تلقين الأطفال دروسا في المبادئ الإسلامية وتسليط العقوبات على كل مخالف.

مما يتبين نرى أن نظام المحاضر يهتم بالتعليم و التربية الصالحة التي تتغرس لدى الطفل، وهذا ما يجعله حتما مهيأ للدخول في نظام العزابة، وعندما يختم التلاميذ القرآن تقام لهم الحفلات.

وهكذا تبقى مهمة إروان الأساسية هي تلاوة القرأن الكريم، حفظه و إستظهاره.

9) - **هيئة إماصوردان :** تأتي هذه الهيئة في الدرجة الثالثة في نظام العزابة بعد إروان، أعضاؤها ليسوا على درجة كبيرة من العلم، يمثلون شباب مختلف قرى وادي ميزاب، مهمتهم الحراسة في الغابات و القرية و مراقبة السلوك العامة، وحث الشباب على العمل.

للهيئة شروط لا بد أن تتوفر فيمن يريد الألتحاق بها و هي:

- أن يكون العضو متزوجا و هو شرط أساسي، حسن السيرة وأن يقبل كل المهات التي تطلب منه فينفذها حتى وإن كانت صعبة أو خطيرة.

- عدم إفشاء أسرار العزابة.

لا يمكن لعضو من هيئة إروان أن يدخل في هيئة إمصوردان لكن يجوز لعضو من إمصوردان أن يلتحق بهيئة إروان،كما أن هناك شروط داخلية و هي عبارة عن قوانين داخلية خاصة بالهيئة في شكل كتيب يوجد في كل مسجد عند أكبر عضو في الهيئة يحدد فيها شروط الإلتحاق و مهام العضو فيها.

يوزع أعضاء الهيئة حسب التقسيمات الجغرافية،و كل منطقة تبقى مرتبطة بمدرسة قرآنية، و كما ذكرنا سابقا أن مهمة عضو إماصوردان الأساسية هي الحراسة والحفاظ على الغابات والواحات فهؤلاء الحراس يكونون جماعة من ثلاثة أعضاء يمشون الواحد وراء الأخر،في دوريات خاصة، فمثلا في فصل الشتاء؛تبدأ الدوريات بعد صلاة العشاء حتى الفجر ساعة إستيقاظ إروان، أما في فصل الصيف فالحراسة تكون في الظهيرة، وذلك لخلوها من الناس[1].

1- Fekhar, Les Institutions..., p. 3.

تخضع هيئة إمصوردان لهيئة العزابة، لكنها تبقى مستقلة في أمورها الداخلية، لها مجلس تأديبي يفصل في الأمور التي تقع بين الناس من مخالفات و خصومات، إذ بعد التحقق في أمر ما، تسلط العقوبة على الجاني،و تنفذ فيه دون الرجوع للعزابة. تبقى الهيئة تقدم خدمات جليلة للمجتمع الميزابي حيث تساهم في إصلاحه، ووضع حد لكل التجاوزات التي تحدث فينتشر الفساد، وهي تمثل الأمن في يومنا هذا.

10) - **هيئة الغاسلات:** يبدو أن وجود هذه الهيئة في قرى وادي ميزاب، ظهر مع نظام العزابة فكان موازيا لمجلس الرجال في المسجد، تعرف الهيئة ب"تمسردان" تتكون من إثني عشرة عضوا تختار من مختلف القرى،و يراعى في إختيارهن الصفات الحسنة التي تمتاز بها المرأة التقية، وحسن التدبير و الشجاعة[1].

يرأس مجلس الغاسلات مسؤولة تعرف في بعض القرى بـ "ماما شيخة" أما الإجتماعات فتعقدها الغاسلات بدار الغاسلات و فيها يتلى القرآن الكريم، وقد تحدث مناقشات علمية ودينية بين الغاسلات و شيخ العزابة،لكن هذا النقاش لن يكون مباشرا بل عن طريق غرفة معينة وجدت خصيصا للنظر في المسائل المطروحة بين الغاسلات و شيخ العزابة،و في الغالب يكون الحوار بين أكبر الغاسلات سنا وشيخ العزابة[2].

1- أساوي، نظام العزابة، ص. 90.

2- B. Merghroub, Le Dévelopement Politique en Algérie, F. N. S. Paris, 1972 , p. 32.

III - مهام العزابة:

لا تقتصر مهام العزابة على الميادين الإجتماعية فقط، لكن لها أدوار رئيسية في المجتمع الإباضي،وفي وادي ميزاب على الأخص فهي تشرف على الميدان الديني السياسي ،الإقتصادي، و كذا الثقافي و لكل عضو من العزابة مهام لا بد أن يقوم بها على أحسن وجه[1].

يمكننا بايجاز توضيح مهام العزابة فيما يلي:

1) - **الجانب الديني** : يقوم العزابي بكل الوظائف الدينية المتعلقة بالمسجد فيختار من بينهم واحد للإمامة في الصلاة، و بذلك يصبح الإمام و المؤذن و شيخ المسجد عمدة العزابة في تطبيق التعاليم الدينية و مقاومة الإنحراف والبدع في المجتمع.

ومن مهام العزابي الدينية القيام بنفقات المسجد ونظافته، ومراقبة مدى تطبيق المذهب الإباضي، إلى جانب إحياء الأعياد الدينية، كالإعلان عن المواسيم الدينية (رمضان والعيد، المولد النبوي الشريف)، وتنظيم زيارات أضرحة المشايخ، والقيام بحقوق الميت من غسل ودفن، وغالبا لا تخلو الجنازة من العزابة، إذ نجدهم في مقدمة الموكب الجنائزي، إلا إذا كان الميت في البراءة.

---

1 - علي يحي معمر،ا لإباضية، ج 1، ص 79.

2) - **الجانب الإجتماعي:** لعل مهام العزابة الديني يرتبط إرتباطا وثيقا بالجانب الإجتماعي، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهامهم الأساسية لوضع حد لكل فساد يحدث داخل المجتمع ومحافظته على النظام الإجتماعي واستقراره، جعلت العزابة يضعون قوانين تضبط العلاقات بين الأفراد في المجتمع، فيحق لهم حبس المجرمين بعد النظر فيما قاموا به من جرائم وتجاوزات، فحتى من كان عليه دين ولم يرده، جاز للعزابة معاقبته، فالشماخي يذكر أن العزابة حبسوا رجلا لم يسدد دينه نزجوا به في السجن إذ لم يخرج منه إلاّ بعد تسديد ما عليه [1].

كما لها دور في إنصاف الضعيف من رجل أو إمرأة أُخذ حقها ظلما وبالقوة، خاصة في حالة ما قصد المظلوم المسجد طالبا المساعدة، فلا يخرج منه إلاّ بعد أن يُنظر في حاجاته، فينصف من الظالم الذي يطلب التوبة في المسجد أمام الملإ حينها يعفى عنه [2].

---

1 - الشماخي (أحمد بن سعيد بن عبد الواحد)، السير، طبعة حجرية، القاهرة، (د. ت)، ص. 406.

2 - توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف، القاهرة، 1936، ص. 113.

نجد العزابة تشرف على الأعراس والأفراح، وحرست الهيئة على عدم التبذير في الأعراس وذلك لتشجيع الفقراء على الزواج، ومراسيم عقد الزواج [1].

مما يجب الإشارة إليه أنه في قرى وادي ميزاب تُختتم الأعراس بزيارة العرسان للمقابر وتلاوة القرآن الكريم وتفريق الصدقات فيها، إذ غالبا ما تكون عبارة عن خبز يصنع في دار العريس.

وفي دار العريس يترأس أعضاء العزابة المراسيم عند الأكل وهذا من باب التشريف والتقدير، لكن حضور هؤلاء لا يمنعهم من القيام بدورهم في مراقبة ما أعد من الطعام أو أسرف أهل العريس في إحضاره [2].

3) - **الجانب الاقتصادي:** تبقى السوق من الأماكن التي تشرف عليها هيئة العزابة علما أن للسوق أهمية بالغة في الحياة الاقتصادية باعتبارها ملتقى إقتصادي وتجاريا هاما بميزاب، لذا كان لا بد من تنظيم السوق، فتعيين التجار حسب معايير محددة، مراقبة المكاييل، ومنع الغش من مهام العزابة، فكل عملية بيع أو شراء لا تتم إلاّ بموافقتهم وتحت أنظارهم، إذ نجد أمناء مختصين في المكاييل والموازين للرقابة، لعل هذا ما كان يقوم به المحتسب في العهود الإسلامية الأولى.

تشرف العزابة على إفتتاح السوق و مراقبة كل نشاط إذ يجلس أعضاؤها على مصطبة خاصة بهم ترفعهم بقليل على الأرض و هي ما تعرف بـ "درج العزابة"[3].

1- B. Maghroub, Le Developement, p. 153.

2- Slimane Cheikh, Le Maghreb Musulman en 1979, p. 153.

3- أسماوي، نظام العزابة، ص. 144.

الإشراف على المجازر من مهام العزابة لكي لا يتقدم إليها من لا تجوز ذبيحته[1] وذلك دون أجرة و إنما تطوعا في سبيل الله و كذا مراقبة الدكاكين أين تباع هذه اللحوم، وهنا يجب أن نشير إلى أن عملية البيع لا تتم إلا بوجود ختم يحمل إسم العزابة[2]، و لأنه غالبا من يقوم ببيع اللّحم و ذبحه هم الرحل لذا رأى العزابة أنه من الضروري وضع أمناء خاصين للحم يعرفون بـ" العدادين" * مهمتهم القيام بتسجيل أسماء الناس الذين يريدون شراء اللحم في دفتر خاص بعدها تشترى الشياه يقسمونها على المشترين بعد ذبحها، حتى أن من يشرف على هذه العملية أي العدادين يعلن عن أسمائهم مرة واحدة في كل سنة في المسجد، وقد يحدث أن يعزل العداد إذا ما إرتكب معاصي أو مخالفات[3].

---

1 - دبوز، تاريخ المغرب، ص. 193.

2 - النوري (حمو محمد عيسى)، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار الكروان، باريس، 1974، ص. 170.

3 - أسماوي، نظام العزابة، ص. 162.

* العدادون هم الذين يقسمون لحم الشياه بعد ذبحها على عدد المشتركين محددين لهم الثمن، وهذا العمل في ميزاب يعرف بـ"أعدي" ويعرف في الجزائر بالوزيعة.

من خلال ما سبق نرى أن العزابة إستطاعت بهذا العمل المتقن والمنظم أن تجعل الفقير يستطيع إقتناء اللحم، بحسن التدبير والتعاون بين الأفراد في المجتمع الميزابي، وبهذا تعم الفائدة على الكل، وللعزابة أيضا حق الإشراف على الزكاة والأوقاف.

4) - **الجانب الثقافي** : الحلقة عند تأسيسها إهتمت بالعلم والتعليم، وكان شيخها أبو عبد الله النفوسي معلما كثير التنقل لنشر العلم ومبادىء المذهب الإباضي في كل من وارجلان وأريغ ووادي ميزاب وقد لازمه تلامذته في رحلاته المتكررة[1].

كانوا ينتقلون في جماعات بين جربة ونفوسة بتلامذته، وهذه الزيارات كانت من أجل تنمية المعلومات[2] ومناقشة الأراء العلمية والفقهية خاصة أن الجهات المقصودة إشتهرت بحركة علمية مزدهرة ولعل ذلك يرجع لجهود أبي عبد الله محمد بن بكر وتلامذته، إذ حرص الشيوخ على غرس مبادىء المذهب والعقيدة في النفوس، ومحاولة فهم النصوص القرآنية فهما صحيحا[3].

---

1 - عمر قاسم، دور العزابة الإجتماعي، مهرجان الذكرى الألف لتأسيس الحلقة، غرداية، 1988، ص. 4.

2 - الدرجيني، طبقات، ج. 2، ص. 425.

3- Mercier Marcel, La Civilisation Urbaine Au M'Zab, Alger, Ed. Subiron, 1932, p. 15.

نشيخ الحلقة هو المسؤول الأول عن التعليم في المجتمع الإباضي فهو الذي يضع المناهج المتبعة في البرامج التعليمية، وهو الذي يصدر الأوامر في حالة قبول أو رفض التلاميذ في الحلقة، يساعده في ذلك العرفاء، الذين يراقبون أوقات الدراسة والراحة، فالنظام العزابي في حد ذاته نظام تربوي تعليمي، لذا حددت له شروط لحلقة التعليم، وأصل الحلقة عند الإباضية صنفان: آمر ومأمور، فالآمر إثنان شيخ الحلقة أو نائبه والعريف، والعريف بدوره صنفان، عريف منفرد وغيرمنفرد، فالمنفرد عريفان: عريف أوقات الختمات والنوم، وعريف العرفاء الذي يعلم القرآن الكريم، أما العريف غير المنفرد فهو الذي يشرف على أوقات الدراسة، ويختلف عدد العرفاء حسب الإحتياج، وأما المأمور وهو ممن يتلقون الأوامر هم ثلاثة أصناف: طلبة القرآن، طلبة فنون الآداب والعاجزون[1].

1 - الدرجيني، طبقات، ج. 1، ص. 172.

ويمكن إيضاح مهمة كل هؤلاء فيما يلي:

أ - الآمرون:

- مهام الشيخ : يعين العرفاء على التلاميذ، يضع المناهج المتبعة في التدريس يختار التلاميذ، له الحق في أن ينفق من أموال العزابة[1].

- العرفاء: مهمتهم تتحدد في الإشراف على التلاميذ ومراقبتهم في الدرس والراحة، وهم بدورهم يقسمون إلى أربعة أصناف :

- عريف لتعليم القرآن الكريم: يحفظ القرآن الكريم للتلاميذ، وعادة لايتعدون العشرة، ويستطيع أن يختار من بين تلامذته النجباء والأذكياء تلميذا يساعده يعرف في الحلقة بـ" النقيب"[2].

- عريف أوقات الدراسة: يقوم بمراقبة الحضور، ويسجل كل من يغيب عن الدرس.

- عريف الختمات وأوقات النوم: يعطي الإشارة بإنتهاء دروس الفترة الصباحية ويختار من التلاميذ الأكبر سنا لدعاء الختام، كما يراقب التلاميذ عند القيلولة ويستدعيهم لحضور ختمة المغرب، للإشارة أن ختمة العشاء ليست ضرورية لحضورهم.

- عريف أوقات الأكل: يشرف على إطعام التلاميذ، ويراقب مدى تطبيقهم لآداب الأكل، فلا يحق لهم المغادرة بعد الأكل إلا حين يؤذن لهم، وذلك بعد قراءة دعاء الأكل[3].

---

1 - نفسه، ص. 183.

2 - نفسه، ص. 177.

3 - مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، ص. 228.

ب- **المأمورون:** وهم الطلبة، ينقسمون إلى ثلاث مجموعات،طلبة القرآن الكريم طلبة العلوم والآداب وهي المرحلة الثانية يلتحق بها التلميذ بعدحفظه للقران أما المجموعة الثالثة، تمثلها فئة العجزة، القاصرون الذين لا يستطيعون المتابعة بسهولة لنقصهم العقلي أو الجسمي، وهم غير ملزمين على حضور الدرس، لكن يبقى هؤلاء الطلبة يقدمون أعمالا، حتى لا يحسون بالنقص وأنهم عالة على المجتمع، لذا يقدمون على تحضير الطعام للطلبة، وعن هذه الفئة نجد الدرجيني قائلا فيهم: "فهذه الأنواع شأنهم الإصغاء".

ج- أوقات الدراسة:

إن تقسيم أوقات الدراسة يشرف عليها شيخ يختاره العزابة، و هو عريف مسؤول على توقيت الصلاة، و في الهيئة يتلقى التلاميذ دروسا في القرأن الكريم، الصلاة الحديث، اللغة، التاريخ[1].

أما الطلبة من "أصحاب الكتب" يجوز أن تكون حلقتهم في شكل حوار ومناقشات علمية، لكن يبقى أن الكتب غير الإباضية غير مرغوب في الإطلاع عليها بل قد يصل الأمر إلى فرض عقوبات على من يطلع عليها[2].

1- (B) Fekhar, Institutions, p. 3.

2- مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب، ص 235.

إذن العزابة عن طريق تنظيمها المحكم إستطاعت أن تسطر برامج تعليمية تربوية سليمة، و هي في الغالب برامج إصلاحية تغرس مبادئ المذهب الإباضي في نفوس الطلبة و حتى العامة من الناس.

غير أن هيئة العزابة لم تنشط وحدها داخل المجتمع الإباضي، بل هناك هيئات تساعد العزابة في مهامها ولعل ما نقصده هنا هو مجلس العشائر ومجلس العوام ومجلس عمي سعيد.

IV) - الهيئات المرتبطة بنظام العزابة:

يشمل نظام العشائر على عدد من الوحدات العائلية غالبا ما تكون تنحدر من جد واحد .

في ميزاب العشيرة لا تبقى منغلقة على نفسها ، بل نجدها تفتح أبوابها لكل من يريد الإنضمام إليها خاصة إذا توفرت فيه الشروط الضرورية (التقوى و الإيمان). هكذا تربط علاقة قرابة بين هؤلاء و العشيرة، فمثلا حين يقصد أي شخص قصرا من قصور وادي ميزاب و طال به المقام أكثر من سنة يقدم إنتماءه إلى عشائرها ، علما أن العشيرة في هذه الحالة تصبح تمثل درعا له يحميه في حالة تعرضه للخطر أو الخطأ.

للعشيرة هيكل منظم و محدد المهام يمكننا توضيحه فيما يلي:

1) - هيكل العشيرة:

أ - مجلس العشيرة:

لكل عشيرة مجلس إداري يتولى مهامها ، يتكون من رؤساء العائلات في العشيرة وهو بمثابة الجهاز التشريعي و القضائي، يجتمع مرة في الشهر و في الحالات العاجلة ينعقد أكثر من مرة.

أما المهام الموكلة للمجلس فهي :

- حل الخصومات سلميا دون اللجوء إلى القضاء.
- محاربة الإنحلال و الإنحراف داخل العشيرة.
- جمع ما يفرض على العشيرة من ضرائب و غرامات.
- الإشراف على الأعراس و المآتم حسب تعليمات مجلس العزابة.
- الإعتناء بالتعليم.

ب- رئيس العشيرة:

هو من المجلس وإليه ترجع القرارات النهائية، ومدى تنفيذها، ينتخب كل ثلاث أو خمس سنوات، عند إنعقاد إجتماعات مجلس العشيرة يفتتحها، للعشيرة دور فعال في الحياة الإجتماعية كالإعتناء بالأرامل عن طريق التكفل بهم ولو بجمع أموال الزكاة وتوزيعها على هؤلاء الضعفاء و المساكين.

-حث الناس على التضامن فيما بينهم، في إطار العمل الجماعي كجني التمور وتنظيف الطرقات[1].

ج- مجلس العوام:

هو نظام الجماعة،و بما أن كل مدينة أو قرية من قرى وادي ميزاب لها رئيس العشيرة، وهو في الغالب من أقدم عزاباتها في بعض القرى يعرف بـ "المقدم" و"الضامن"، فمن مجموع هؤلاء المقدمين يتكون مجلس العوام، يضم أعضاء العشائر المقدمين إليه بالتساوى حسب عددها الموجود في كل قرية، و من بينهم ينتخبون رئيسا[2].

1- بكير سليمان الحاج ، نظام العشائر بميزاب، غرداية 1989 ، ص 4.

2- Marghroub, Le Dévelopement, p. 29.

يبدو أن نظام الجماعات كان موجودا في بلدان المغرب و في الصحراء وميزاب وبما أن المجتمعات العربية متمسكة بهذا النظام الذي يعمل على ربط الصلات في المجتمع، نجد أبا عبد الله يعطي أهمية كبيرة للنظام إذ عمل على تنظيمه مستندا في ذلك على تطبيق المبادئ الإسلامية[1]، فكل الهيئات المتواجدة في ميزاب مرتبطة بنظام العزابة، فمجلس العوام بمهامه الكثيرة، يبقى متصلا بمجلس العزابة في حالة تعرضه للمشاكل يلجأ لمجلس العزابة للفصل فيها[2].

مجلس العزابة لا يتخذ الإجراءات المتعلقة بالقضايا الإجتماعية إلا بحضور أعضاء مجلس العوام من مختلف القرى الميزابية ،فالمسائل الإجتماعية تبقى من إختصاص مجلس العوام.

مهامه على العموم تتمثل في ما يلي:

- الدفاع عن المدن الميزابية في حالة حرب.
- النظر في المسائل الداخلية و الخارجية للقصر .
- إستقبال رؤساء القبائل المجاورة .
- المشاركة في الأعمال التطوعية و الخيرية .
- تعيين الأمناء على البناء والماء .

1- توفيق المدني ، كتاب الجزائر ،ص. 108.

2- النويري ، نبذة ،ج 1 ،ص. 171.

للإعلان عن القررات التي يتخذها مجلس العوام يعلن عنها في مجلس عمي سعيد.

د- مجلس عمي سعيد:

هو مجلس ديني نسب إليه لأنه ينعقد في المجلس الذي بني في مقبرته ،يتكون من كبار العلماء و كبار العزابة، مهمته فض المشاكل و الإجماع على الطرق التي يجب سلوكها للخروج من الأزمات، و هو الذي يولي المشايخ في المسجد و يختار الأقوال الفقهية التي يحكم بها القضاة في المسائل المطروحة، ولمكانة المجلس فهو يسن القوانين إذ يعلن عنها في سوق المدينة وذلك تحت إشراف العزابة[1].

سلطة المجلس لا تبقى محصورة في ميزاب بل تتعداه للخارج فمراقبة أوقاف الميزابي من مهامه و بما أن له مسجدا و مقبرة ومدرسة فله الحق في التصرف والمراقبة [2].

نستنتج أن هناك هيئات بوادي ميزاب مرتبطة مباشرة بهيئة العزابة وهناك هيئات أخرى مرتبطة بها بطرق غير مباشرة تساعد العزابة في مهامها لكن رغم هذا يبقى أعضاء العزابة يمثلون السلطة العليا* بميزاب.

---

1 - أسماوي ،نظام العزابة ،ص. 9-10.

2 - دبوز ،تاريخ المغرب ،ج 3 ، ص. 343.

* لا زال نظام العزابة إلى يومنا هذا يطبق في مزاب، لكن عرف بعض التغييرات وذلك طبعا لتطور الحياة في المنطقة هذا ما يجعل القوانين تتغير حسب متطلبات العصر.
أنظر في الملحق القوانين الخاصة بالأعراس والمآتم في وقتنا الحالي.

الفصل الثالث

تأسيس المدن الميزابية

I) - تأسيس المدن الميزابية:

1) - القرى الميزابية المندثرة:

لم ترد في المصادر التاريخية تحديد دقيق لتاريخ بدأ عمران منطقة ميزاب، غير أن أغلب المصادر تشير إلى أنه في أوائل القرن الخامس الهجري، إبتدأت هجرة الاباضيين من سدراتة وورجلان، ووادي أريغ بعد ما تلقاه هؤلاء من صراعات ومشاكل جعلتهم يبحثون عن مكان آخر يعيشون فيه.

قبل التطرق للظروف والاسباب الداعية لتعمير ميزاب، وانشاء مدنها هناك سؤال لازال إلى يومنا هذا يطرح بحدة، وهو هل قرى ميزاب كانت موجودة من قبل ظهور الإباضية؟

من الأرجح أن تكون منطقة ميزاب عامرة، فقصورها المندثرة وأثارها الشاهدة على ذلك اليوم، لدليلا قاطعا على ذلك، غير أن هناك من يرى أن الاباضية هم الذين أسّسوا قرى ميزاب بعد سقوط تيهرت، ولم تكن المنطقة عامرة.

فمنطقة وادي ميزاب شهدت عمرانا قبل مجيئ الاباضيين والاستقرار بها إذ سكنتها قبائل بربرية من بني بادين أحد فروع قبيلة زناتة وكانوا على مذهب المعتزلة، عاشت هذه الأخيرة حياة بدوية بسيطة اشتهرت بالرعي والزراعة ونسيج الخيام والألبسة المصنوعة من الوبر، ولعل قصر أغرم نتلزضت، إلا دليلا على ذلك انفردت بصناعة الصوف حتى عرفت بذلك، وباستقرار الاباضيين في المنطقة تحول مجرى حياة القبائل البربرية من البداوة الى حياة حضرية.

القصور الاباضية الخمس التى أنشئت مع بداية القرن الخامس الهجري لدليل على ذلك، وقبل وصول الإباضيين لمنطقة ميزاب كانت هناك تجمعات سكانية اذ كان بنو مصعب يسكنون الخيام.

فماهي هذه القرى التى سكنها هؤلاء، ولماذا اندثرت القصور الميزابية الأولى؟

أ- ضواحي قصر العطف:

أغرم نتلزضت (مدينة الصوف): قصر في الأمازيغية: أغرم، إغرم، إغرمان، وهو أقدم قصور العطف، يوجد من الناحية الجنوبية - الشرقية، لم يبق من أثاره إلا بعض أسوار البيوت، إذ كان يضم ثلاثين بيتا سكنه المعتزلة، لكن نتيجة للفتن والصراعات هجروا المنطقة، ولعل هذه الرواية أكثر موضوعية من تلك التى تذهب إلى أن سكان هذا القصر والذين يتكونون من أولاد محمود، وأولاد نصير، أولاد باعدي وهي قبائل ظهرت مع الهجرات الهلالية.

ومن الروايات ماتذكر كذلك أن أول قصر هو قصر أوخيرة الذي اندثر على يد أولاد نصير، لكن على مايبدو أن أول قصر أنشئ على وادي ميزاب هو قصر، أغرم نتلزضت- لم يسكنه الإباضيون لما لاقوه من مشاكل.

ومع هذا يبقى تاريخ تأسيس هذا القصر مجهولا، وهو الآن خربة على بعد ستة كيلومترات جنوب شرق العطف[1].

1- يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، ص 17

* **أولاول:** يوجد على طول الجهة اليمنى لوادي ميزاب، ولا يبعد عن قصر أغرم نتلزضت بكثير، لا تظهر أثاره اليوم إلا من خلال الواحات والبساتين القائمة على أنقاضه، وبموقع هذا القصر نستنتج أنه لم يسكنه نفس الاهالي الذين سكنوا، أغرام نتلزضت- فعاشوا في صراعات.

للاشارة أن القصر يتمركز في الأعلى وهو الأقل قدما [1].

* **أوخيرة:** بضم أوله، ونحن نعلم أن إسم خيرة عربي الأصل وتبربر، يقع أعالي شرق العطف، لا يفصل بينهما سوى مجرى وادي ميزاب، إرتفاعه متوسط، يظهر على شكل بناية صغيرة مربعة الشكل، القرية اندثرت من حوالي أربعمائة سنة نتيجة الصراعات، ويحتمل أن يكون قصر الأحنش الذي يوجد بالتحديد في الناحية الجنوبية الشرقية لبنورة، قد اندثر في نفس الفترة، المصادر التاريخية لم تبين أسباب اختفاء القصرين، ماعدا الرواية التي ذكرها « هوڤي» عن قصر الأحنش، فحسبه القصر كان بضم واحدا وعشرين بيتا ومسجدا، دمر عن آخره حين قتل الأهالي بالعشرات في اليوم عن طريق الثعابين التي هاجمتهم [2].

1-(J) Huguet, le pays du M'zab, bulletin de societé et géographie, Alger 1898, p177
2- Huguet, les villes mortes du M'zab, bulletin et mémoires de la societé d'anthropologie, 1903, p 587

* **قصر تامزارت:** يقع بين مليكة وبونورة، أنشئ في نفس فترة ظهور قصر أولاول ونصر الأحمر ونتلزضت، وهي أولى القصور التى تأسست في ميزاب.

أما في أعلى مليكة، تظهر بناية بيضاء بين الضفة اليسرى للوادي والقصر تعرف بأغرام أنواداي يوجد بالناحية الغربية لقصر مليكة أنشئ سنة 395 هـ /1004م خرب عن آخره ولم يبق منه إلا مسجده الأثري، للعلم أن السكان الأصليين هم الذين أنشأوا نبما بعد قصر مليكة.

ب - ضواحي غرداية:

* بوريزة: بنيت على سفح جبل جنوب غرب قصر غرداية، لم يبق منه أي أثر.

* قرية بوهراوة: هي قرية قديمة جدا، كانت للمعتزلة بشمال شرق قصر غرداية لم يبق منها أثار سوى ماذكره الشيخ أطفيش في رسالته، كونها بلدة واسعة خربت وبقيت منها أثر سور منهدم غرب غرداية على قمة جبل[1].

.قصر بابا ساعد: يبعد بحوالي ستمائة كلم شمال غرب غرداية، بقيت من آثاره بعض الأسوار المهدمة[2].

1- اطفيش، الرسالة الشافية ، ص18.

2- Huguet, le pays du M'zab, 70p.

ج- ضواحي بني يزقن:

- **ترشيش**: هي القرية المعمورة بالإباضية بعد العطف، سكنها قبل ذلك المعتزلة، ثم نزحت إليها فرق من إباضية جبل نفوسة، اندثرت ولم يبق منها سوى أثار مسجد ومحضرة لتعليم الصبيان القرآن الكريم، وهي على يسار الذاهب إلى أجنة بنى يزقن قرب شعبة مومو التى زالت عن آخرها.

- **بيكياو**: كانت توجد بجبل مشرف على أجنة بني يزقن بعد السد العالي سكنها المعتزلة ثم هجروها، لكن لايزال بعض أحفادهم في بني يزقن، تأسست حوالي منتصف القرن الرابع الهجري، في سفح جبالها غربا كان محل لصنع الأحذية ولم يبق من آثارها إلا أكواما من الحجارة.

- **أفنوناي**: في الجنوب الشرقي قريبا من السد العالي لبني يزقن على شاطئ الوادي إلى الجبل كان القصر، في أخر أيامه حدثت ترشيش وبعدها تفلالت.

- **تفلالت**: تأسست على أنقاض ترشيش، وهي على قمة الجبل الذي بنيت عليه حاليا قرية بني يزقن.

- **أتلالت**: من قرى ميزاب القديمة جدا، الواقعة في الجنوب الشرقي لأجنة بني يزقن، ولا تزال بقية من الحجر، يرى « إمتياز » أن سكان هذه القرية أصلهم من نتلزضت في ناحية العطف ثم رحلوا إلى أتلالت وبيكياو وأخيرا إلى يزقن، أصلهم من

مغراوة الطبقة الأولى من زناتة.

- **مومو**: تقع على يسار الذاهب إلى أجنة يزقن، إندثرت ولم يبق منها أثر، حسب الدراسة التي قام بها « هوڤى» فإن عدد القصور في ميزاب كان يقارب الخمسة وعشرين قصرا، لم يبق من آثارها إلا القليل إذ يرجع أسباب إندثارها إلى الصراعات والفتن التى وقعت بين المعتزلة والإباضية.

ومما يجب الإشارة إليه أن القرى المندثرة معظمها بنيت على سفح جبل أو على ضفاف الوادي قريبة من الواحة، لعل هذا ما يبين وجود فترة أمن وإستقرار، معظم سكان هذه القرى كان على مذهب المعتزلة ثم تحولوا إلى المذهب الإباضى، فعاش هؤلاء حياة بدوية بيسطة، ولما نزح الإباضيون للمنطقة إنتقلوا من البداوة إلى الحضارة.

لكن يبقى تاريخ هذه القرى مجهولا إلى اليوم رغم أن الباحثين حددوه بالقرن الخامس الهجري، التاسع الميلادي.

2) تأسيس المدن الميزابية:

كان بنو ميزاب يعيشون حياة بدوية قاسية، يسكنون في تجمعات سكانية بسيطة متفرقة على سفوح الجبال وقممها، وذلك نظرا لقساوة الطبيعة ولم يعرف ظهور المدن إلا مع مطلع القرن الخامس الهجري مع تأسيس أول قصر سنة 402 هـ الموافق 1012 م وهو قصر العطف.

للإشارة أن هذه المدن ظهرت بطرق مختلفة يمكن تلخيصها فيمايلي:

- إن تجمع سكان عدة قرى ميزابية قديمة، وتأسيسهم لقرية كبيرة في مكان واحد نشأت المدن الحالية، كمدينة بني يزقن.

- انفصال إحدى العشائر والجماعات أو القبائل عن إحدى المدن الميزابية لأسباب كتضاعفهم، أو نتيجة صراعات مع القبائل المجاورة، من هنا تظهر مدينة جديدة، كما كان الحال بالنسبة لكل من مدينة بريان وقرارة.

- هجرة القبائل البربرية إلى ميزاب بزعامة أحد الشيوخ وإستقرارها بالمنطقة وتأسيسها لمدينة خاصة بها، بهذه الطريقة تأسست العطف وغرداية[1].

1- عبد الله نوح، النظم التقليدية العرفية بوادي ميزاب، الجزائر 1993، ص 9 .

أ) العطف:

هي أولى مدن ميزاب الحالية، سميت بالعطف لانعطافها جانب الوادي جهة القبلة فمن بعيد لا يراها المار حتى يصل موضعا مخصوصا يميل فيراها[1].

تأسست العطف سنة 402 هـ الموافق 1012 م، على يد الخليفة بن أبغور، والجدير بالتنويه أن إحدى القبائل الزناتية التي كانت على المذهب المعتزلي قد سكنت هذه المنطقة، وهي التي أنشأت القرى القديمة كأوخيرة، أغرم انتلزضت، أولاول ، ولا زالت مقبرة المعتزلة هناك.

اختلفت الأراء حول تسمية العطف، فهناك من يرى أنها نسبة إلى بعض العائلات البربرية الزناتية التي سكنت هذه المدينة، ولا زال هذا الإسم تلقب به بعض العائلات في وادي ميزاب والأوراس (عطفاء)، وقيل أن الإسم الصحيح هو « تاجنينت» وهي كلمة بربرية يقصد بها إناء الشرب الذي يصنع محليا بسعف النخيل على شكل دائري لأن المدينة مخططة على هذا الشكل[2].

1- اطفيش، الرسالة الشافية ، ص 38.

2-José Gers ,au M'zab désert dans dans le désert, Belgique 1936 ,p 77.

للمزيد أنظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995 ص 176 ، 177.

ب - **بونورة**: تأسست بعد العطف، بنيت على قمة جبيل منقطع عن بقية الهضبة شبيهة بجزيرة سنة 437 هـ الموافق 1012 م تبعد عن غرادية بحوالي ثلاثة كيلومترات. أول من عمرها أولاد أبى اسماعيل، وقيل أنه جماعة بني مطهر التي هاجرت من سدراتة وهي التي أسستها ، أما بالنسبة إلى التسمية فهي أت بنور، وهي نسبة إلى القبيلة الزناتية التي لاتزال توجد في بني ميزاب والأوراس[1].

أما اطفيش يرجع تسميتها باسم إمرأة كانت تبيع النورة وهي المغرة أو الجير.

ج- **غرداية**: أنشئت سنة 447 هـ الموافق 1053 م بعد العطف وبنورة، على الضفة اليمنى لوادي ميزاب، وهي أعلى المدن الميزابية، أسسها الشيخ بابا والجمة محمد بنو يحيى والشيخ أبي عيس بنو علوان، والشيخ بابا سعد، وقد إنضمت إليهم قبيلتان كبيرتان هما أولاد عمي سعيد وأولاد با سليمان اللتان تشكلان نواة سكان هذه المدينة الآن [2].

عن تسميتها « تغردايت » فهي الحديقة الصغيرة الواقعة على ضفة مجرى الوادي لكن اطفيش(*) ينسبها باسم الغار وهو كهف في الجبل واسم إمرأة نزلت به، وهو معروف إلى الآن في أعلى الجبيل الذي بنيت عليه هذه المدينة[3].

---

1 - الدرجيني، طبقات، ج 1 ، ص70.

2- (J.E) Brill, Encyclopedie de l'Islam; tome II, 1977, Paris .p 1033.

* هو الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمان بن عيسى بن اسماعيل اطفيش المعروف بـ "قطب الأئمة"، ولد عام 1238 هـ/ 1821 م بغرداية من أسرة فقيرة، عرف بإصلاحه للمجتمع وخدمة العلم إلى جانب محاربته للإستعمار الفرنسي، نبغ في العلوم وخلف عدة مؤلفات في مجالات متعددة منها العقيدة وعلم الكلام، المنطق والتفسير والفقه وأصوله، إلى جانب اللغة والحديث وصلت مؤلفاته إلى مائة وخمسة وثلاثون مؤلفا، توفي سنة 1332 هـ/ 1914 م.

نبذة وجيزة عن الشيخ اطفيش أفادنا بها حفيده عند لقائنا به في مكتبة القطب ببني يزقن يوم 1998/06/21.

3- أطفيش، رسالة، ص 34.

د- **مليكة**: تأسست على فترتين، في الفترة الأولى بمكان يسمى أغرم أنواداي وذلك سنة 408 هـ الموافق 1018 م لكن إندثرت، بعدها بنيت المدينة الحالية حوالي سنة 732هـ الموافق 1350م من طرف عشيرة قدمت من جبل نفوسة بليبيا على رأسها أبو دحمان ويرو سليمان.

أما مليكة فإسمها الأصلي « أتمليشت» نسبة إلى مليكش أحد شيوخ بني زناتة اطفيش ينسبها إلى إمرأة، وقيل أنها سميت كذلك لإشرافها وعلوها على القرى الأربعة[1].

هـ - **بني يزقن**: أنشئت حوالي سنة 729 هـ الموافق 1347 م عن طريق تجمع واندماج سكان عدة قرى ميزابية قديمة وهي (بوكياو، موركي، ترشيش، اڤنواي، تفليلات) يبدو أن سكان القرى الزناتية المعتزلة إعتنقوا الاباضية، فقرروا تأسيس مدينة تجمعهم، فكان ذلك إذ ظهرت بنى يزڤن، التي يرجع المؤرخون إسمها الأصلي وهو بربري من أت إسجن، وقيل نسبة إلى إحدى العائلات التي تحمل هذا الإسم في وادي ميزاب والأوراس (اسڤني)، أما اطفيش في رسالته، عند إشارته لبني يزقن يقول أن: "ني أعمال قسنطينة قوم يسمون أولاد يزقن جاءت طائفة منهم إلى هذه القرية فنسبت إليهم" [2].

1- الدرجيني، طبقات، ص 65 .

2- اطفيش الرسالة، ص 26.

كما أن Govion في دراسة له أشار أن هناك تشابها بين سور وبرج كل من إزقن الواقعة قرب أغادير ويزقن بميزاب [1].

وتعد بني يزقن المدينة المقدسة العلمية والأكثر تمسكا بالعادات والتقاليد في الشبكة[2].

و - **ثرارة:** أنشئت سنة 140 هـ الموافق 1631 م من طرف أولاد باخة* وقبل تأسيس ثرارة كان يوجد بها قصر مبرتخ أسسه أولاد نوح من بريان يجهل تاريخه، أولاد باخة الذين سكنوا غرداية ومليكة قبل قدومهم إلى وادي ميزاب، سكنوا الأغواط، لكن المشاكل والصراعات التي تعرضوا لها من قبل المالكين حثتهم للجوء إلى غرداية وقصد أولاد نوح من بني يزقن.

بمرور الزمن وتضاعف عدد الأهالي، ضاقت غرداية بسكانها، وبدأت المنازاعات تظهر بين العشيرة وسكان غرداية، لذا رأى هؤلاء ضرورة البحث عن مكان آخر يجمعهم ويجنبهم المشاكل، حسب الروايات التاريخية فإن هؤلاء خرجوا من غرداية قاصدين التل للعمل هناك، بعد أن جمعوا الأموال عزموا على عدم الرجوع لغرداية أين تركوا عائلاتهم، وقرروا بناء قصر بعد التحاور والتشاور مع شيخهم « حمو طلبة» الذي نصحهم باتباع الوادي حتى اقتربوا من مبرتخ، بنو هناك قصرهم.

1- Govion, monographie du M'Zab, p 295

2- عبد الله نوح، النظم، ص 12.

* أولاد باخة ابن باخة بن يعقوب بن محمد بن أحمد بن عباد بن موسى بن سليمان بن عبد الله بن هلال بن عفار بن عمور بن جابور بن بورياح بن عبد الله بن أحمد بن شروف بن يحي بن أحمد بن ادريس بن عبد الله بن لحسن بن فاطمة ابنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

للإشارة أن هؤلاء لم يكن يتعدى عددهم الأربعين رجلا لقوا مساعدة من قبل أهالي نڤرت.

إستقر أولاد باخة في مكان يعرف بإسم كدية العقارب أسسوا مدينة القرارة ويقال أنه لمدة أربعين يوما عمل هؤلاء دون توقف، حفروا بئرا لا تزال إلى اليوم تعرف بـ «ابن عليف» لكن حدوث شقاق بين أولاد باخة وأهالي مبرتخ لم ينته إلا بتدخل عشيرة أولاد سيدي عبد الله** بإبرام معاهدة سلم حددت بثلاث سنوات، وعرفانا لما قدمته هذه العشيرة خدمة لأولاد باخة أصبحت أهم عشيرة في كدية العقارب[1].

ي- **بريان:** تأسست سنة 1060هـ/ 1690 م من طرف عشيرة العفافرة التي هاجرت من غرداية، وقبلها سكنت الأغواط، بنيت المدينة على جبل منقطع تحوطه جبال منيعة من جهة الشرق، الغرب والجنوب.

أما عن سبب تسمية مدينة بريان فهناك من ينسبها إلى أت أبرقان وربرقان وهي لفظة بربرية تعني الخيمة المصنوعة من الوبر وشعر الماعز ويقال أن أهل بريان كانت لهم خبرة في نسج هذا النوع الرفيع من الخيم[2].

1- Motylinsky , guerrara depuis sa fondation, revue Africaine.O .P.U, N° 28, 1984, pp.373,374

** أولاد سيدي عبد الله من أهم العشائر الموجودة أنذاك بالصحراء، فروا منها نتيجة صراعاتهم مع البهود، فاتجهوا نحو وادي زڤرير ووادي أنتسا وهم من الشرفاء ينقسمون إلى ثلاثة عشائر، أولاد سيدي عيسى، أولاد ابراهيم، أولاد اسماعيل، من هؤلاء من أسس العطف.

2- الدرجيني، طبقات، ص 72.

هناك من يرجع تسميتها لخصبة وكثرة مياهها، خاصة أن ثلاثة أودية هي روافد لوادي أنتسا تتخللها من شرقه، وهي الأكثر سيلانا في ميزاب.

يظهر أن نشأة كل من بريان والقرارة كان توسعا ضروريا لجأ إليه سكان ميزاب بعد أن إمتد العمران وتوسع، والملاحظ أن المدن انشئت كلها فوق الجبال، أما القرى القديمة المندثرة كانت تتربع على سفوحها، أو على التل القليل الارتفاع، لعل هذا بدل على أن هذه القرى لم تنشأ على أساس الاستقرار، وانما أوجدت عن طريق الصدفة فانتشرت، ولما بدأت هذه القرى تتعرض للغارات، فكر هؤلاء في انشاء قرى فوق الجبال تكون منيعة محصنة بالاسوار، وهي ظاهرة تميزت بها المدن في العصر الوسيط[1].

لا يمكننا تحديد بدقة تاريخ تأسيس المدن وحسب المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع يظهر أن تأسيسها لا يتجاوز السنوات المتباعدة بين مدينة وأخرى، لكن يرى الباحث يوسف بن بكير صاحب كتاب بني ميزاب ينفي ماذهب اليه أغلب المؤرخين حين حددوا عملية التأسيس في أقل من نصف قرن، بل يرى أن عملية البناء لم تقل عن ثلاثة قرون ونصف، معللا ذلك بالموقع الجغرافي للمنطقة وطبيعتها الصخرية، وهذا يستلزم بالفعل وقتا طويلا وجهدا كبيرا للحفر والبناء [2].

1- الأطلاي، ميزاب بلد كفاح،ص 18.

2- يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، ص 28.

يمكن استخلاص أهداف انشاء المدن الميزابية فيما يلي:

بالنظر الى منطقة ميزاب الصخرية والتى تكاد الحياة تنعدم فيها ،فإن السبب الوحيد الذي جعل الإباضية يستقرون فيها إنما هو العقيدة.

- تأسست المدن لأغراض دفاعية وسهولة التحكم في المجتمع وتسييره، ونجد كل المدن لها بالتقريب نفس الهندسة المعمارية من حيث الانتظام والبساطة والمواد المعتمد عليها في البناء، إذ غالبا ماتكون محلية.

- كل المدن تقع في المرتفعات وسفوح المرتفعات لصد أخطار سيول الأودية وما ينجم عنهامن نكبات.

- تجنب التمركز في المناطق الصخرية، وكذلك لتسهيل الحياة وحفر الآبار.

- تقارب تمركز المدن ببعضها البعض للتعاون فيما بينها وتوطيد العلاقات، خاصة أن المذهب الإباضي يحث على التعاون وصلة الرحم.

3- مميزات المدينة الميزابية:

أ- المدينة

لعل المتأمل للهندسة المعمارية لميزاب، يدرك مدى الانتظام الذي بنيت به، هذا مايدل على عبقرية الاباضي وذوقه الرفيع رغم بساطته وذلك باعتراف أغلب المهندسين المحليين والأجانب.

تتوزع هذه القرى على مساحة عشرين كيلومتر مربع، وتشاركها كل من بريان والقرارة في قواعد تخطيطها.

إن اختيار الموقع والمحيط مدهش ومميز، إذإستمرت عملية تأسيس المدن لمدة خمسين عاما، حين نجد تجمعات سكانية تزيد عن العشرة مستقرة، نسميها بالقصر هذا بغض النظر عن المساحة وقياسات السكنات أو تواجدها بين الطرق، على عكس المدن الحديثة الواقعة غالبا في الأسفل، ذلك لتسهيل عملية التنقل بالنسبة للانسان والبضائع، فإننا نجد التجمعات في القديم تكون في أعلى الجبل ذلك يرجع لأسباب دفاعية بالدرجة الأولى، بالنظر لهذه المدن التى لم تعرف اتساعا طيلة قرون، حتى القرن الثالث عشر الهجرى، حيث خرجت مجموعات إباضية من غرادية فأدت إلى ظهور كل من قرارة وبريان .

من المؤكد أن عملية البناء لم تكن عفوية أو عشوائية بل استندت لمقاييس ومعايير معمارية انفردت الشبكة بها الى يومنا هذا.

فغرداية بشكلها البيضاوي، ذات محور كبير متجه نحو الشمال الغربي والجنوب الشرقي، تتميز عن المدن الأخرى بارتفاعها، على عكس كل من قرارة وبريان فهي أقل ارتفاعا.

تبقى من مساوئ تصميم المدينة على مستوى أرفع، أنها تعاني من ناحية التسويق فأصبحت الشبكة بعيدة عن الحركة والمبادلات التجارية الصحراوية، لكن بمتطلبات الحياة اليومية، استطاع الميزابي أن يتعامل مع القوافل التجارية وبالتالي أنشئت الأسواق المحلية.

بالنظر إلى مدن ميزاب الواقعة على طول الوادي، لا تجعل المرء يحس أنه في صحراء جرداء، بل بالعكس من ذلك، إذ كلما توجه الانسان لأسفل الوادي يدرك جمال المنطقة رغم طابعها الجاف والعاري، فهي تبين المستوى الحضاري الإباضي.

تختلف المدن الميزابية عن المدن الصحروية من حيث اللون، فهذه الاخيرة المميزة بلونها الأحمر، لانراه في بلاد الشبكة، بل ظهرت المدن في ميزاب صلبة البناء بتنوع قببها وأروقتها، وكأنها منعزلة عن الهيئة العامة للمدينة وكلما توغلنا في أزقتها الضيقة لا تظهر إلا الأسوار التي تحميها.

أما مسالكها وطرقها وهي العنصر الرئيسي في تشكيل هيكل المدينة، وهو بمثابة شريان المدينة وينظم حركتها، فطرقات ميزاب في ضيقها وإلتفافها كأنها أوجدت لأغراض دفاعية، والطريق المركزي يبين ذلك أكثر فهو بمثابة البرج المحاط بالمنازل والمسجد، إن مخطط أسفل المدينة خاصة في الجهة الغربية يجعل من طرقاته تنقطع في شكل مربعات متناسقة، أما في الجنوب الشرقي والشمال نجد الطرقات كأنها تؤدي مباشرة إلى منارة المسجد، رغم أننا لا نستطيع الوصول إليها مباشرة، ويبقى مخطط المدينة يبين مدى التعاون بين الأفراد[1].

1- Mercier, Civilisation, p 114.

ب- الحصون والأسوار

هذا العنصر في إنشاء المدينة له ميزة خاصة، حيث تعد الحصون والأسوار كمباني دفاعية لها طابع عسكري، إذ ظهرت ملامح العمارة الدفاعية والحربية كضرورة عمرانية أساسية، وهي الأمن والإستقرار وحماية المدينة.

إن هذه الميزة خاصة بالمدينة الإسلامية والتي تتفاعل جيدا مع مفهوم الحرمة فتبرز كستار للمدينة، يلتف حولهما، فقيل عن المدينة الاسلامية أنها مستورة غير مغلوقة [1].

أغلب المدن التى أنشئت في العصور الوسطى تمتاز بأسوارها العالية، وذلك لأسباب دفاعية،فالمدينة الميزابية أخذت موقعا دفاعيا، ويتجسد ذلك أكثر في قصر ملبكة، إذ أن تجمع مساكنها في شكل دائري يكون درعا واقيا، ويشترك قصر مليلي معها في تلك الميزة [2].

تنفرد بني يزقن بسورها الدفاعى أكثر من غيرها، هذا السور الذي يتراوح ارتفاعه مابين أربعة وخمسة أمتار، مطوق بصفيحة بارزة، أما بين آخر المنازل والمدينة نجد فراغا وفضاء واسعا بعشرين متر، يعد بمثابة ممرتعبر من خلاله الحيوانات.

1- بن يوسف ابراهيم، اشكالية العمران، ص 85.

2- المرجع السابق، ص 115.

لا يتجاوز سور غرداية ارتفاع الأربعة أمتار، وهو أقل حصانة من سور بني يزقن نخترقه كوة رمي عند جانب الأبواب، هذه الأخيرة عالية وضيقة تشكل ثقوبا محاطة ببلاط على السور الخارجي الدفاعي.

وتبقى كل من أسوار العطف وبونورة تظهر في بعض مناطقها بشكل دائري مكونة أبراجا مفتوحة عند العنق.

ومما لا شك فيه أن المدن في العصور الوسطى لا تخلو من الأسوار، حتى أن المنازل في منطقة الشبكة في تكوينها وترتيبها تشكل أسوارا وحصونا دفاعية[1].

1- EmilioTempia, le M'zab, un modèle d'architecture spontanée, In El Djazaîr; revue du ministère du tourisme N° 14 Alger, p28.

ج- الأبراج

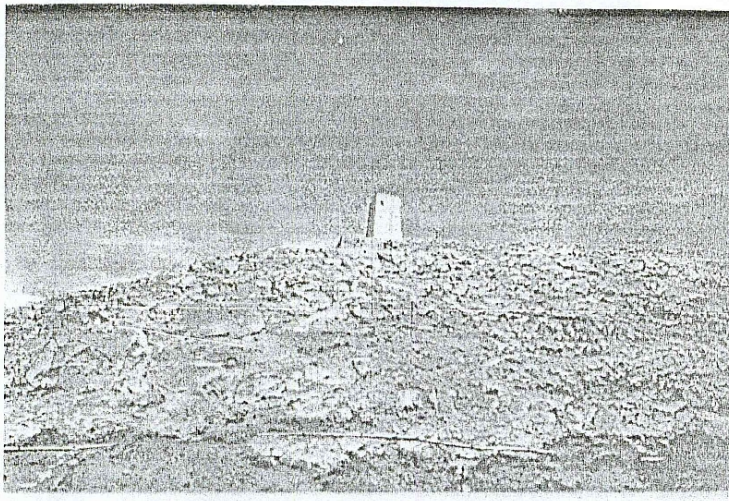
للدفاع عن المدن الميزابية بنيت الأبراج، والبرج الأكثر علوا يوجد ببني يزڤن، من هذه الأبراج يمكن للناظر أن يهيمن على كل الشبكة والواحات، والمراقبة لا تقتصر على الأعداء بل تتعداه للطبيعة، إذ نجد المراقب يعلم الفلاح بقدوم الوادي[1].

يتبين من هذا أن هناك نوعين من الأبراج في ميزاب، برج المراقبة وبرج الدفاع فلكل من غرداية وبني يزڤن أبراج دفاعية، بارتفاع يفوق العشرين مترا، وقطر يقدر بإثنا عشر مترا، وهي من أقدم الأبراج الدفاعية وبداخلها طبقات لها قذائف وسقيفة في النهاية.

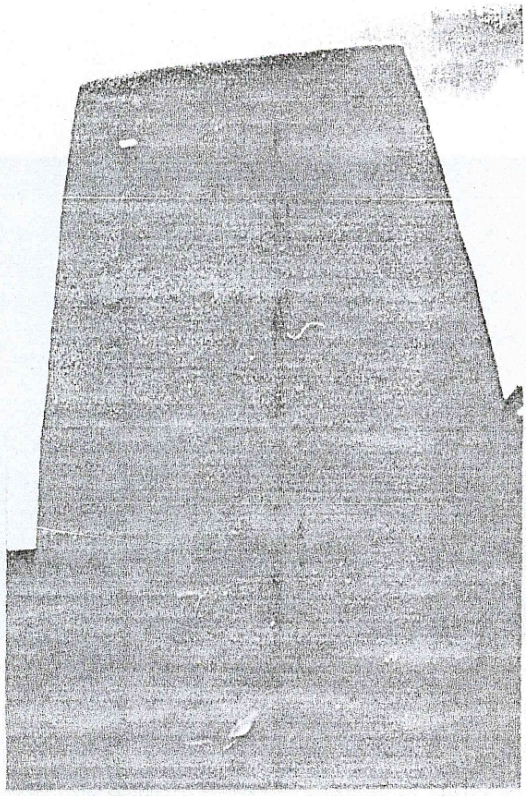
الطبقات المتتالية تتكون من جذع النخيل مشبكة باللياط، وعن طريق الأدراج يصل المراقب إلى البرج، كل الأبراج تبنى فوق أبواب المدينة[2].

1- Mercier, Civilisation, p114.

2- Mercier, Sur Une Architecture Berbère Saharienne, Hesperis, 3ème et 4ème trimestre 1928,p 413.



أبراج المراقبة.



أبراج المراقبة.

د- المنازل

بالقاء نظرة على المدينة الميزابية نلتمس ذلك التشابه الكبير بين المنازل التي بنيت في هندسة معمارية متناسقة وجميلة، تشمل هذه الأخيرة على طابقين وسطح تبلغ عتبة مدخل الدار حوالي عشرة سنتمترات، الهدف من وجودها حماية الساكن من الاتربة التى قد تنجر إلى الداخل بهبوب الرياح، كما تمنع خروج الهواء البارد أيام الصيف الحارة، بعد العتبة يصادفنا رواق آخر يعرف بالسقيفة، وتعتبر الفضاء الفاصل بين داخل المسكن وخارجه، غالبا ما تكون مراقبة الخارج من الداخل بواسطة فتحة موجودة بينها وبين التيزفري فيها ينتظر الانسان حتى يأذن له بالدخول، لعل الهدف من وجودها هو امكانية إبقاء المسكن مفتوحا في النهار وبذلك تهويته بهذه السقيفة مقعد حجري ورحى لطحن الحبوب [1].

يشكل البهو الجزء الأساسي للمسكن يعرف، بوسط الدار أي مركز المسكن في غالب الأحيان نجد هذه القاعة المربعة أو المستطيلة (خمسة أمتار) الضيقة نوعا ما يرتكز سقفها على أربعة أعمدة مكونة العرصات التي تحدد الجوانب السفلى والمساحة المركزية للأرضية منحفضة لا تكون هذه الساحة في المساكن القديمة مغلقة تماما، حيث تشكل الجوانب السفلى غرفا عميقة ومظلمة، عادة مايكون السقف مثقوب في الوسط به فتحة مستطيلة (1,50م على 2م) يدخل منها الهواء والضوء يغطي تماما الساحة.

1-يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، ص 88 .

على كل جانب تفتح أبواب الغرف المطلة على الساحة وفي المؤخرة وقبالة المدخل الرئيسي نجد بابا أوسع من الأبواب الأخرى يطل على غرفة جد مهواة تعرف في المنطقة بـ "تيزفري" وهي القاعة التي تشترك فيها كل المنازل الميزابية، لها وظيفتان، فمن جانب أنها خاصة بإقامة المنسج، فهي غرفة السهر والتقاء العائلة للأكل وشرب الشاي.

هنا يجب أن أشير أن لتيزفري مقاييس لابد من اتباعها عند التصميم، وهي راجعة أساسا لمقاييس المنسج المستعمل في ميزاب ، فلا يمكن أن يكون أقل من 6م^2 (3مx 2م) على يمين تيزفري نجد سلما يوصل إلى الطابق العلوي، أما على الجدران نرى سلسلة من الرفوف توضع فيها مختلف الأشياء.

إلى جانب تيزفري تقع غرفة النوم مظلمة وعميقة، بابها يفتح من جهة أخرى للساحة، في المؤخرة هناك أريكة من الحجر يبلغ ارتفاعه ستين سنتيما، صنعت لتلبس بالسجاد وتستعمل للنوم، لهذا يكون للسرير مكان محدد لا يتغير.

هذه الغرفة والغرفتان الأساسيتان بعد البهو الرئيسي تبقى من أهم الغرف في البيت الميزابي أما الغرف الأخرى فهي أقل اتساعا وتخصص أساسا لحفظ المؤونة والصوف [1].

1- Mercier, Cilivisation, p 269.

يتمركز المطبخ في وسط الدار، حيث تبقى سيدة البيت غير بعيدة عن باقي أفراد العائلة.

في الزاوية المحادية للشارع غير زاوية المدخل، نجد مرحاضا، لكن الشيء المدهش في حياة هذه الساحة هي ابقاء البهائم معهم في حياتهم اليومية إذ يملك الميزابي دائما حمارا يستعمله في ذهابه للواحة أو بغل يساعده في سقي نخيله.

أما بمدخل الدار هناك باب لحجرة صغيرة بها أدراج تؤدي إلى قاعة خاصة باستقبال الضيوف وهي الخاصة بالرجال، لعل هذه الأدراج المستقلة عن وسط الدار تترك الرجل ينتقل بكل حرية دون أن يحرج نساء الدار، وبقاعه الاستقبال (لعلي) نافذة متوسطة الحجم تظهر من الخارج وهي تعد النافذة الوحيدة للبيت الميزابي[1].

سقف الطابق الاول نصفه مسقف والآخر مفتوح للسماء بينهما أقواس، الجهة المسقفة تستغل في فصل الشتاء للنسيج، أما النصف المفتوح بإحدى زواياه فتحة مطلة على الطابق الأرضي يمتد الى الجهة القبلية، والجهة الغربية لاستقبال أشعة الشمس، ويبقى القسم المغطى المعروف في المنطقة بـ (ايكومار)، يستعمل خاصة في فصل الربيع مع ارتفاع درجة الحرارة، يمثل فضاء وسطا بين السطح المعرض للشمس والغرف القليلة التهوية.

1-Daddi-Addoune Aicha, Sociologie et Histoire des Algériens Ibadites, Ghardaia 1977, p.p 78,79.

حددت مقاييس وقواعد لابد أن تتبع، لإبعاد المضرة على الناس فمثلا نجد أبا العباس بن بكر في كتابه "أصول الأراضين" يطرح عدة مسائل خاصة ببناء الدور والقصور، فمثلا في قضية من أراد أن يبني على سقف القصر غرفة، منعه من ذلك إلا إن كانت له سقيفة القصر فإنه يفعل فيها ما يشاء مما لايضر بها القصر، ولا يحدثون في تلك السقيفة ولا غيرها مما يضر بمن يمر من الناس في القصر ويمنعون من أراد أن يتخذ فيها موضعا للجماعة، أو يربط فيها بالليل والنهار.

كما منع إحداث أبواب البيوت في غير مواضعها الأولى في الساحة، وكذلك الغرف على هذا الحال[1].

هناك قواعد عامة عرفية تتعلق بالمعمار يمكن إيجازها فيما يلي:

-يجوز أن يرتفع سور الدار الموالي للشارع فوق سبعة أمتار ونصف إذا أراد أحد السكان أن يبني دارا متصلة بالجيران فيجب أن يرفع الجدار الموالي لجاره الجوفي على ماكان عليه في السابق حتى لا يحجب عنه الشمس القبلية، ويحترم الارتفاع من الجهة الغربية حتى لا يحجب الشمس على جاره الشرقي، لا حق للجار في استغلال المساحة المتروكة لأنها ليست ملكا له، وله أن يحيطها بسلك لينتفع بوضع الحطب فيها شريطة أن لا يحجب الشمس عن جاره، إذا رفع الانسان جداره لستر سطحه لا بد عليه أن يترك مسافة بقدر علو الحائط، أما في حالة ما وجد زقاق بينهما فلا حرج في ذلك.

1- أبو العباس أحمد، أصول الأرضين، ص 203.

- إذا كان ماء المطر يصب في أرض العرش مثلا، ثم اتفق أن باع العرش لهذه الأرض لمن يبني فيها دارا فلا حق للجار الجديد أن يلزم القديم بكف غديره بل يجب عليه أن يقبله لأنه دخل على المضرة، وكذا حفرة المستراح أو مربط الدابة إلا إذا تناهما.

- لا يجوز للجار الذي يجرى غديره على سطح جاره أن يلحق به ماء الغسل أو أي ماء يضر جاره، بل يقتصر على ماء المطر فقط[1].

د- بيوت الواحات

عادة ما تظهر البيوت بعيدة عن الواحات، رغم المناخ الجاف والحار، نجد الميزابي يبحث عن الأجواء اللطيفة وسط الغابات والواحات الخلابة، إذ بدأت تظهر أولى التجمعات، فكانت عبارة عن أكواخ مبنية بالجريد وسعف النخيل، لكن مع الزمن تطورت وأصبحت بيوتا شبيهة بتلك الموجودة في القصور، علما أنه بقدوم فصل الصيف تكاد القصور الميزابية تخلو من سكانها لارتفاع درجة الحرارة وبالتالي صعوبة المكوث في المدينة، ذلك ما تظهره تلك الهجرات الجماعية إلى الواحات فأصبحت العائلة تقضي نصف السنة في القصر والنصف الآخرمن العام في البيت الخاص بالواحة (مابين شهر ماي ونوفمبر)[2].

1- محمد ناصر، الشيخ القرادي حياته وأثاره« الفن المعماري بميزاب الحلقة الأولى، نشر جمعية النهضة العطف1990، ص 60

2- Mercier. cilivisation, p283.

لاتختلف الهندسة المعمارية لبيت الواحة عن بيت القصر، البيت الذي يبنيه الميزابي في الواحة بسيط، أنشئ خصيصا للراحة والاستجمام، إذ تظهر الحجرات صغيرة والأثاث مصنوع من سعف النخيل وكذا السقف، غالبا ما يظل البيت على بستان غابة في الجمال بأشجاره المثمرة وزهوره[1].

علما أن الأثاث الخاص ببيت الواحة يبقى فيها، إذ حين تنتقل العائلة إليه لا تأخذ معها إلا الأشياء الخاصة والخفيفة.

ب- المواد المستعملة في البناء:

ينطلق الميزابي من مبدأ الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس، تجسد ذلك في المواد التي استعملها وهي محلية أساسها (تمشمت) المستخرجة من الهضبة الكلسية على عمق متر واحد، تعالج في الأفران لمدة أربع وعشرين ساعة، منه يستخرج الجير ويخلط مع الحصبة المتوفرة في الوادي، ويظهر أنه بعد أربعين سنة يزداد البناء المصنوع من هذه المادة صلابة*.

1- Manuelle, roche; le M'zab architetecture, p37.

* أكده لي الشيخ داود التومي في حوار أجريته معه في غرداية يوم 20 جوان 1998.

- الاخشاب تصنع من النخيل المتوفر في المنطقة، لكن مايجب أن نشير اليه أنه عندما تأسست المدن الميزابية، كان خشب النخيل يجلب من وارجلان.

- الرمل غير الصلصالي يستخرج من مجاري الأودية [1].

- يستعمل الكرناف، يعرف في المنطقة بـ « تيفزغلت » يوضع بتداخل مع الجريد في تسقيف السطح، يضاف اليه طبقة من مادة التربة الطينية على السطح، تغطى بالجير والحصبة، فتصبح صالحة للاستعمال ومكيفة مع الظروف المناخية للمنطقة.

إن المواد المستعملة في بناء الدور هي نفسها المستعملة في بناء المسجد والأبراج والأسوار والسدود، وعلى العموم كل ما يتعلق بالجزئيات العمرانية والمعمارية، لعل ذلك من أسباب امتياز العمارة في ميزاب بالوحدة والتناسق.

هناك ملاحظات عامة حول الفن المعماري يتبعها كل ميزابي وسكان الصحراء عامة، عند اقباله على بناء دوره، وهو مايجعل المدينة تحافظ على طابعها الاصلي يمكن استخلاصها في النقاط الاتية:

- العزابة وأعيان القرى يقومون بالتصميم العام للمدينة بأسس وقواعد إسلامية يراعى فيها حق كل جار.

1- يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، ص 91.

أنظر: الشيخ القيرادي ، حياته وآثاره، ص 160-161.

- انعدام الشبابيك وتعويضها بكوات صغيرة.

- الحرص على دخول الشمس لكل دار.

- لا يفتح الذي يبني بعد الأول باب داره أمام باب جاره الذي يسبقة[1].

تبنى الدور بعد أن يتم تصميم الشوارع العامة، خاصة أن ضيق الشوارع في ميزاب يساهم في اعطاء كمية كبيرة من الظل في الصيف والدفئ في الشتاء، وخلو أسوار المنازل من النوافذ التي عوضت بكوات صغيرة، كان من ورائه مراعاة الحرمة أما السواقف فهي تلعب دورا مهما للشارع مع حرارة الشمس فهي تشكل مساحة من الظل يلجأ الانسان، كما تمثل حاجزا فتخفف من سرعتها وتنقص رمالها[2].

- كل الشوارع منطلقها من المسجد.

- شكل الدار واحد على العموم ويختلف من حيث الاتساع والضيق حسب امكانية الفرد، أما العلو فيجب أن يكون في نفس المستوى.

يظهر أن المدن الميزابية إستمدت طابعها من المدينة الاسلامية الأولى حين وفّر الرسول عليه الصلاة والسلام، الشرط الأول للهندسة المعمارية للمدنية وتنظيمها وهو الأرض، ولعل أول عمل قام به هو إنشاء المسجد، هذا كما ذكرت بعد أن قام بتقسيم الأراضي فتشكلت المدينة بكل هياكلها ذات الطابع الاجتماعي.

1- أسماوي، محاضرة ألقيت في قسنطينة،ص 11.

2- عمر سليمان برعصبانة، معالم الحضارة بوراجلان، الجزائر 1992 ص 52.

بعدها أنشئ السوق كمركز ثان للمدينة، بطبيعته الاقتصادية، ولتنظيم عملية التنقل في المدينة امتدت الشوارع الرئيسية من المسجد كمركز رئيسي للمدينة وتفرعت الشوارع الرئيسية لشوارع ثانوية للحد من التزاحم، والمدينة الاسلامية الاولى لها أسوار دفاعية [1].

وبشكل عام فإن خطة التنظيم المادي للمدينة الميزابية هي نفسها بالنسبة للمدينة الاسلامية الأولى، وهذا ما يبين مدى تمسك المجتمع الميزابي بالدين والتقاليد الاسلامية.

5- المسجد

كسائر المسلمين يعطي الاباضي كل أهمية للمساجد، كونها مصدر إشعاع ديني يمارس فيه الشعائر الدينية، كما أنه مركز قيادة المجتمع تجسد ذلك أكثر حين لجأ المجتمع الى إمامة الكتمان فأصبح المسجد مقر إجتماع رجال الفكر والعلماء وكل شيوخ القبائل، ومازاده أهمية هو اتخاذه أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي مقرا لهيئة العزابة المشرفة على مصالح كل المجتمع [2].

1- ابراهيم بن يوسف اشكالية العمران،ص 80-81.

2- مسعود مزهودي، الاباضية في المغرب الأوسط، ص 26.

للحفاظ على وحدة المجتمع الميزابي وتمسكه بالدين والمذهب الإباضي لم يسمح في ميزاب بانشاء أكثر من مسجد يجمع كل الناس، كما أن وحدة المسجد تسهل عملية الاشراف وتسيير المجتمع والتحكم فيه.

ففي غرداية يحتل المسجد مركز المدينة، نجده محاطا بطريق منعرج في اليمين يؤدي إلى الباب المركزي للمسجد، وأساسا يحتوي مسجد القصر في ميزاب على بيت الصلاة وصحن، وبيت صلاة للنساء ومخزن للتمور، وغرفة العزابة وفضاء للوضوء، وهي العناصر التي تكون « حريم المسجد » ومن مكوناته كذلك المحاضر وأماكن للطهارة (المراحيض).

فساحة المسجد (الصحن) محاطة بأروقة غير متساوية في الجهات الثلاثة بها سور في الواجهة الجنوبية لقاعة الصلاة، الأسوار تظهر ملونة بالجير أما الأروقة الجانبية السفلى مدعمة بطبقة من الاقواس، غالبا ماتكون مصنوعة من جذع النخيل. وراء هذه الأقواس هناك رفوف لوضع أعراض المصلين.

قاعة الصلاة فهي مغطاة لحماية المصلين من الحرارة، أسوارها منخفضة وأرضيتها مصبوغة من الجير[1].

1- Mercier Marcel, Civilisation, p 83.

المحاضر وهي القاعات الخاصة للدراسة يجتمع فيها أعضاء إمصوردان للدرس وتفسير القرآن الكريم.

يعمل وكيل المسجد على جمع النوبة وتوزيعها على المحتاجين، أهم ما يميز المساجد الميزابية منارتها التي تبدو كأنها تحرس المدينة.

المنارة غرداية بشكلها الهرمي، تنتهي بأربعة أعمدة متجهة للأعلى بارتفاع عشرين مترا مصبوغة بالجير، أما لونها فيميل الى البنفسجي الوردي لكن يصبح أحمر مع حرارة الشمس، جدارها لا يتجاوز المتر في القاعدة، وكلما ارتفعت الأعمدة تزداد ضيقا، أما الصعود لأعلى المنارة فيكون بواسطة سلم به مائة واثنين وعشرين درجة ضيقة لا تسمح بمرور أكثر من شخص واحد، أربعة فتحات شبه أسطوانية تساعد المؤذن على الظهور والاعلان عن مواقيت الصلاة، للإشارة أن كل منارات المدن الميزابية بنيت بنفس الشكل.

كما نلاحظ تقبب سقف الصومعة، وهذا ما يساعد على انتشار صوت المؤذن.

يبقى غياب المحراب يميز المساجد الإباضية عن المساجد الإسلامية الأخرى يفسر الاباضي ذلك بعدم إقامة صلاة الجمعة، وهي التي تتميز عن الصلوات الأخرى بالخطبة على المنبر، لأنه منذ سقوط تاهرت سنة (266 هـ /908م) أصبح المجتمع الإباضي دون إمام وهو الذي كان يشرف على أمورهم الدينية والسياسية، وبه تقام صلاة الجمعة، ويشترط أن يكون الإمام مستقلا بالأمة الاسلامية الإباضية لذا المساجد الإباضية في كل مدن ميزاب ووارجلان خالية من المنبر[1].

1- J-Schacht, sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à travers le sahara, travaux de l'institut de recherches sahariennes, tome 11, 1954, université d'Alger p16.

يبقى إبراز المسجد الذي يحتل وسط القصر والذي يمثل محور الانطلاق يسهل النظر إلى الصومعة من أي مكان في القصر، لا فقط نتيجة ارتفاعها ولكن أيضا لتوجيه الطرق إليها، وما لهذا التخطيط من تأثير متواصل في أي مكان في المدينة بمراقبة المسجد، بل مراقبة الله لكل أفراد المجتمع ليكون ذلك التواصل بين الخالق والمخلوق.

حسب « لوكربوزي» فإن الهندسة المعمارية الميزابية أشكالها تمثل كل القوى الاجتماعية، فيظهر توازن المجتمع في حد ذاته من وحدة والمستوى الإجتماعي والديني، وبالفعل هذا ما يظهر كذلك في المنازل ذات الارتفاع الواحد والاشكال البسيطة[1].

هكذا فالهندسة المعمارية الاباضية أو النمط الهندسي يبقى يفتقد لأبرز العناصر المعمارية التي تميزت بها الهندسة المعمارية في المغرب الاوسط.

التيجان الكوثرية المستعملة بكثرة في العمارة الإسلامية وغياب الأعمدة المزخرفة وكذا القباب والدعامات المتعددة الأشكال، بل اقتصرت على النمط المربع والمستطيل، هذا إلى جانب غياب زخرفة العقود، لعل هذا الاختلاف الذي تميزت به الهندسة المعمارية الميزابية والمخالفة للمساجد المتواجدة آنذاك بالمغرب الإسلامي راجع للمذهب الاباضي الذي تشدد في قضية زخرفة العمران[2].

1- Alex Gerber, le corbusier et la leçon du M'zab, 1973 , p64.

2- رمضان كمال، مصليات المقابر بوادي ميزاب، خلال ق 9 هـ الموافق 15 م، الجزائر1993، ص 7-8.

6- السوق

يعتبر السوق أهم ملتقى إقتصادي وتجاري بوادي ميزاب، غير أن المؤرخين الذين كتبوا عن ميزاب لم يتناولوا موضوع السوق بكل جوانبه، إذغالبا ماكانت في إطار دراسة عامة، أو وصفية من حيث العمران والاقتصاد.

وككل مجتمع كان لابد للمجتمع الميزابي أن يجد موارد أخرى للعيش خاصة بعد تضاعف عدد السكان فأصبحت المنطقة غير قادرة على تلبية حاجياتهم، علما أن المواد الأساسية كالقمح والشعير لم تكن المنطقة توفرها، هذا ماجعلها تتعاون مع جيرانها في الصحراء وخارجها لعل هذه الحاجة الإقتصادية مع الأسواق الخارجية هي التي أدت إلى ظهور الأسواق في منطقة ميزاب.

يبدو أن الأسواق ظهرت مع المدن الميزابية، أي في القرن الخامس الهجري لكن هذا لا ينفي وجود تجمعات تجارية قبل هذا التاريخ، تبادل من خلالها المعتزلة المواد التجارية مع من جاورهم من سكان الواحات، لكن تاريخ انشاء السوق في ميزاب يبقى غير معروف بالتحديد[1].

1- Gondolfi Alain, les Marchés du M'zab, 1949 paris, p 18.

فأين موقع السوق في المدينة الميزابية؟

يحتل السوق الموضع الأسفل من المدينة، وبالتحديد بالقرب من المدخل الرئيسي لها، تظهر ساحته على شكل مثلث بأضلاع محاطة بأروقة مقوسة من الجهة الشمالية- الشرقية تشرف على المدينة وبيوتها، مقابل الجهة الغربية هناك متجه نحو وسط الجهة الشمالية- الغربية - المثلث يرتفع بحوالي 1,25 م عن الأرض بجانبه الحوتية وهو مقر إجتماع الجماعة يكون في شكل خط مكون من ستة وعشرين حجرة غير منتظمة مغروسة في الأرض غالبا ما يجلس أعضاء الجماعة هناك للنظر في المسائل الخاصة بالمجتمع.

تمتاز ساحة السوق برواق يحميها من أشعة الشمس يتراوح عرضه مابين المترين به فتحات تقدر بـ 1,50م و 3م من الارتفاع و 0,70 م في الجانب .

الأعمدة مصنوعة من الحجر قاعدتها مربعة ومرتفعة نوعا ما، هذه الركائز العمودية تؤثر على كل الأشكال، وهي غالبا ما تكون مستطيلة أو مثمنة الزوايا، ومن الركائز ما تظهر دائرية ملساء تأتي مباشرة على الأعمدة لكن بارتفاع مختلف، إذ من الجهة اليمنى تكون أكثر إرتفاعا عن الجهة اليسرى أو العكس.

يرى « Gondli » أن ميزاب ليس له عمران موحد، يعلل ذلك بوجود مختلف الأشكال العمرانية في ساحة سوق غرداية من خلال تنوع أشكال الأعمدة، الرواق أرضيته مغطاة مرتفعة بدرجة ومبلطة بالأحجار، أما القباب التي تحميه فمصنوعة من جذع النخيل. تخلو ساحة سوق غرداية من المقاعد كالتي نجدها في كل سوق بني يزقن وبونورة وتبدو المنازل التي تحيط بالساحة مرتبة تحت الأروقة.

في ميزاب تخلو البنايات من النوافذ التي تنفرد بها الدكاكين، إذ تظهر الواجهة ملونة بالجير الأبيض وخالية من كل زخرفة.

أما في وسط الجهة الغربية تظهر بناية أكثر إرتفاعا، منذ القدم عملت على إستقطاب الضيوف،وهو كذلك المكان الذي تجتمع فيه الجماعة.

تبقى الأروقة تلعب دورا مهما في حماية الدكاكين من حرارة الشمس خاصة في فصل الصيف[1].

كان ميزاب محل عبور الكثير من القوافل القادمة من المناطق المجاورة وحتى من السودان، فأصبحت ساحة السوق مقرا لهذه التجمعات لما لها من أهمية بالنسبة للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فهو الرباط الحيوي للمدينة، إذ تعددت التجارة في ميزاب خاصة تجارة الرقيق، ذلك راجع إلى طبيعة الميزابي، فهو تاجر بالدرجة الأولى، فكان لا بد عليه أن يستعمل اليد العاملة في الميدان الزراعي، إذ جلبها من السودان عن طريق القوافل التي تجتازها الصحراء، فكانت عملية بيع الرقيق تتم عن طريق المزاد العلني.

كما راقت تجارة البارود في الشبكة إلى جانب تجارة الحبوب والخضر والحيوانات وغيرها من المواد.

1- Mercier, civilisation, p 99.

لكل قصر من قصور بني ميزاب سوق، تتميز عن غيرها من الأسواق، فسوق كل من بريان وڤرارة رغم حداثتهما غير أنها عرفت انتعاشا كبيرا، إذ تظهر ساحة سوق بريان بشكلها المستطيل محاطة بالأقواس، لكن ليست بمساحة ساحة غرداية، حتى أن اكتظاظها بالناس غير كبير، ولا يحتوي هذا السوق على بضائع شتى كالخضر والفواكه والبقول هذا ما يجعل المشتري يقصد سوق غرداية لاقتناء حاجيته رغم بعد المسافة بين القصرين.

أما سوق ڤرارة فيتمركز في ساحتين يخترقها باب كبير على شكل قوس، الساحة الأولى وهي أقل بمرتين من ساحة غرداية، تقام فيها أسواق يومية للحبوب والخضر والحيوانات حتى الأقمشة والزرابي، وعندما نجتاز الباب الكبير ندخل ساحة أقل اتساعا من الأولى محاطة ببيوت ذات أقواس وهي أكثر إرتفاع عن بيوت غرداية سوق بني يزڤن يمتاز بساحته المستطيلة، وسوق الدلالة.

وعلى الرغم من أهمية هذه الأسواق الفرعية التي حتما تقلل من الضغط المفروض على سوق غرداية، وتوفر ما يحتاجه الميزابي في القصور الأخرى، يبقى سوق بني يزڤن في هندسته وطريقة البيع من أشهر أسواق ميزاب[1].

1- Alexandre Chabert, le comportement économique des Musulmans (les mozabites), Revue d'histoire écomonomique ,1961, paris, p374.

وعلى غرار السوق الرئيسي للمدينة نجد أسواقا ثانوية مجاورة له عند مفترق الطرقات، فمثلا في غرداية يظهر سوق اللحم في الجنوب الغربي للساحة، إلى جانب أسواق أخرى تطل على سوق الساحة، ويبقى كل من سوق الدلالة والخضر مهمين إذ يقع سوق الدلالة في طريقين ضيقين على الجهة الشمالية الشرقية للساحة، هناك عدة مقاعد حجرية عند أبواب متاجر الزرابي والألبسة.

في ساحة السوق وبالتحديد في وسطها هناك صنفان من النشاطات، من اليسار يظهر بائعو الخشب من خلال أكوام الخشب، علما أنه يباع بأثمان باهضة إلى جانب أكياس الفحم، وفي يمين هذا الجانب يخصص لتجار التمور، يباع بالجملة والتجزئة إذ نجد أغلب التمور في المناطق المجاورة للشبكة، تمور ميزابية، وهنا تصبح البضائع الميزابية همزة وصل بين الشبكة وجيرانها.

أما سوق الخضر، فهو يتمركز تحت أقواس ساحة السوق إلى جانب التوابل علما أن الخضر قليلة.

أما سوق الأقمشة فيتمركز في كل من سوق غرداية وبني يزقن يتميز ببيع الأقمشة ذات النوع الجيد، ففي غرداية السوق موجودة في الزاوية الغربية للساحة. الأقمشة وكل الألبسة المصنوعة من الصوف وحتى الزرابي تصنعها المرأة الميزابية، تؤخذ إلى السوق ليبيعها الدلال.

رغم توفر المساحات الزراعية في ميزاب من بساتين وواحات تبقى غير كافية لتلبية حاجيات الأهالي من خضر وفواكه، هذا ماأدى إلى اللجوء للمبادلات بين التل والجنوب، تتم عن طريق الميزابين المقيمين في التل، أما المواد المتبادلة تتمثل أساسا في التوابل، القمح والشعير، تبقى أهم مادة تجلب من ميزاب التمورذات النوعية الجيدة.

يظهر أن ميزاب قد ساهم في الحركة التجارية، وكانت غرداية مركزا رئيسيا للتبادل التجاري في شمال الصحراء تبادل فيها التجار الذهب، ريش النعام والعبيد والسلع الآتية من السودان،كل هذه المبادلات تتم عن طريق المقايضة[1].

لعل السوق بكل هياكله لابد من تنظيمه لتسهيل عملية البيع، وحفاظا على نظافته اهتمت العزابة بالأسواق، وحسن سير الموازين والمكاييل، لذا نرى العزابة يعينون فيما بينهم أمينا مختصا في المكاييل والموزاية، وهو دور المحتسب، ضمن الوظيفة الدينية التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وهنا يحق للعزابي أن يتصرف بكل حرية إذا رأى منكرا عليه تغييره، لذا يشترط أن يكون عارفا بالموازين والمكاييل وهي أساس المعاملات التجارية ولتجنب الغش في الموازين يأمر المحتسب الوزان أن ينظف ميزانه جيدا ويراقبه حين يزن البضاعة[2].

1- le M'zab, Imprimerie Lithographique et Typographique, Baconnier frères éditeurs, Alger, p10. (لم يذكر صاحب الكتاب)

2- أحمد سعيد المجليدي، كتاب التيسير في أحكام التسعير ، تحقيق موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر، الطبعة الثانية،1981، ص 70.

مما يجب الاشارة اليه أن العزابة من وظائفها الاشراف على افتتاح الأسواق ولا تفتح إلا بعد خروج الناس من المسجد بعد صلاة العصر، يراقبون عملية البيع وهم جالسين على مصطبة خاصة بهم تعرف في المنطقة بـ « درج العزابة ».

يتبين أن السوق في ميزاب لا يقتصر على البيع والشراء بل هو مجال للتنظيم والمعاملات بين أفراد المجتمع الميزابي.

7- المقابر والأضرحة بوادي ميزاب

تتميز الشبكة بكثرة مقابرها، لكون الاباضي الميزابي يحبذ أن تكون له مقابر خاصة به، خاصة أنه بطبيعته يريد دائما الرجوع إلى بلده الأصلي والموت بها وبالتالي يدفن في تربته، هذا ما أدى إلى توسع المقابر منذ أن تأسست المدن الميزابية.

الصفة التي تمتاز بها المقابر الميزابية تلك التجمعات العائلية عند دفن الميت فمثلا أولاد عمي عيسى بغرداية يدفنون في مقبرة عمي سعيد، أما المذابيح والمالكين لهم مقابر خاصة بهم.

فغرداية ملتصقة من الشمال الشرقي بمقبرة عمي سعيد، من الجنوب مقبرة بني مرزوق، وفي اتجاه الشمال- الغربي مقبرة سليمان ومقبرة بابا ولد الجمة.

مليكة كذلك المحاطة بالوادي تجتمع مقابرها في الشمال والشرق وقرب الواد نجد قبرة بوبكر، وفي الجنوب الشرقي مقبرة الشيخ باعبد الرحمن وقرب المدينة مقبرة سيدي عيسى، لعل هذا ما يجعل سكان المدينة يقولون أنهم يسكنون مدينة الأموات. للاشارة أن كل مقبرة من مقابر وادي ميزاب محاطة بسور متوسط الارتفاع [1].

أ- **الأضرحة الميزابية**: الظاهر أن الميزابيين إختلفوا في صنع الأضرحة عن دول المغرب الاسلامي حين تظهر القبب البيضاء والمنتشرة بكثرة في المنطقة (المغرب الاسلامي) فابتعد الميزابي قدر المستطاع عن هذه الطقوس لاقتناعهم بعدم إحاطة الله الواحد بأناس صالحين، لكن هذا لم يمنع الميزابي أن يكرم الموتى من العلماء والأتقياء بأن جعلت أضرحتهم في المقابر بين العامة من الناس.

فالاضرحة الميزابية ذات الأصل الإباضية تشكل كل الأبعاد، أصغر الأضرحة ذات مربع بارتفاع زاوية أربعين سنتم قاعدتها مكونة من كتلة غرانيت تنتهي بكرة كبيرة مصنوعة من الجبس غالبا ما تكون فارغة وبها أشياء يضعها زائر الضريح (أحجار مصابيح من الطين)، نجد إثنا عشر قبرا مبعثرا هنا وهناك، على شكل كتل غرانتية ضخمة، بأشكال هندسية متنوعة.

1- Marcel Mercier, Civilisation, p132.

القبور في ميزاب تظهر على شكلين، عادة مايدفن الميت على أرض هشة أو على صخر، هذا الصنف منتشر في متليلي، أما مقابر المدن الخمسة تظهر على حافة رمال الوادي.

نلاحظ أيضا تواجد المقابر على جانب الهضبة الصخرية، تتجسد عند شعانبة مليكة فقبورهم مجتمعة على هذا الشكل.

الميزابيون يفضلون دفن موتاهم بالطريقة الأولى، إذ يظهر الميت ملقى على ظهره ممدود الساقين، متصل الرجلين، يداه مبسوطتان.

القبور من الصنف الأول (هضبة صخرية) تهيأ عند الاقبال على دفن الميت والتفريق بين القبر القديم والقبر الجديد يكون بخطوة 50 أو 60 سنتيم عرضا، يغطى الميت بالرمل وتوضع على القبور الشهود تكتب عليها الشهادة وهي عبارة عن أحجار مسطحة مشكلة بزاوية في الأعلى، توضع واحدة في جهة الرأس والأخرى في اتجاه الرجلين، هذا للدلالة على قبر الرجل، أما بالنسبة للمرأة فتوضع واحدة في الوسط بين الاثنين.

لا يتأخر الميزابيون في دفن موتاهم، إذ يقوم الغسالون أو الغسالات بغسل الميت وتكفينه، عادة ماتكون عملية الدفن في الصباح الباكر إذ يؤخذ الميت الى ساحة المسجد الموجود في المقبرة ليصلى عليه، بعد الدفن يوزع أهل الميت المعروف (الخبز والتمر) على الحاضرين لينصرف كل واحد إلى أهله لتعزيتهم[1].

1- Mercier Marcel, Civilisation du M'Zab, p.p133,143.

تتميز المقابر الميزابية بانتشار الأواني الفخارية فيها وهي أواني خاصة بالإستعمالات اليومية خاصة الإبريق، يبدو أن لهذه الأواني دور في معرفة الأهل لقبر مرتاهم [1].

والملاحظ أن صلاة الجنازة لاتكون في المسجد لكن في المصليات أو ماتعرف بمصليات المقابر وأهم مصليات المقابر في ميزاب، هي في غرداية، مصلى باعيسى أوعلوان، ومصلى بابا والجمة يرجع تاريخ تأسيسه إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، وكذا مصلى عمي سعيد في القرن التاسع هجري الموافق الخامس عشر ميلادي.

لبني يزڤن مصلى أبو محمد بن عبد العزيز القرن 9 هـ الموافق 15 م و مليكة مصلى الشيخ سيدي عيسى القرن 9 هـ الموافق 15 م ، مصلى الشيخ عبد الرحمن الكرثي أنشئ في نفس التاريخ[2].

1- Anne Marie Abderrahim - Reichlen, contribution à l'étude de la vie sociale et économique de la communauté Ibadite du M'Zab d'Algérie, Doctorat du 3ème cycle en sociologie, Paris 1980, p 231.

2- محمد ديوز، نهضة الجزائر، ج1، ص 25.

في العطف نجد كل من مصلى سيدي ابراهيم ومصلى عمي محمد. [1]

لمصليات المقابر دور هام في تنفيذ الاوقاف، خلال أشهر معينة من فصل الشتاء بشرع أهالي غرداية وقرى وادي ميزاب، في تنفيذ هذه الأوقاف داخل مصليات المقابر، ففي صباح كل جمعة يخرج العزابة والطلبة إلى مصلى مقبرة من مقابر القرى جالسين على شكل حلقة، كل حلقة تدرس القرآن الكريم، حتى العصر، حين يلتحق الناس بهم تفرق عليهم الصدقات، وهي عبارة عن كسكسي، خبز، وتمر، ومع صلاة المغرب يتفرق الناس، هذه العملية تستمر لمدة ثلاثة أشهر وبنفس الطريقة [2].

1- Benyoucef Ibrahim, le M'Zab Espace, p 82.

2- ابراهيم محمد الطلاي، ميزاب بلد كفاح، دراسة تاريخية اجتماعية، مطبعة البعث قسنطينة، 1970،ص 74-75.

القسم الثاني

القسم الثاني

133,01

الفصل الأول
نظام تقسيم المياه
بوادي ميزاب

133.02

ا- نظام تقسيم المياه بوادي ميزاب :

إن طبيعة ميزاب القاسية، جعلت منها معجزة حين إستطاع الميزابي أن ينشىء فوق أرض جرداء صخرية، سبعة مدن لعبت دورا رياديا في التحدي والمواجهة، ولعل الدافع الديني كان وراء هذا التحدي الذي أدى إلى قيام حضارة راقية لازالت إلى يومنا هذا تشد أنظار الباحثين .

رغم الصعوبات التي واجهت الميزابي، إستطاع أن يحول الأرض الصخرية إلى واحات وجنائن خلابة، فأصبحت الفلاحة مرتبطة بالنخلة مصدر عيش هؤلاء، إذ أضحت التمورالميزابية معروفة بطبيعتها وجودتها.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه، كيف إستطاع الميزابي أن يغرس النخلة في أرض قليلة المياه ؟.

لكن قبل التحدث عن الفلاحة المرتبطة إرتباطا وثيقا بالمياه، لابد من التعرض إلى نظام تقسيم المياه بميزاب، والسدود والأبار التي أبدع الميزابيون في بنائها من حيث الموقع والتقنيات.

يعتمد نظام تقسيم مياه السيول بوادي ميزاب على مبدأ الإستغلال الكلي والأمثل لمياه الأمطار، هذا إلى جانب التقسيم العادل على كل الواحات أما الفائض فيوجه تلقائيا إلى مختلف السدود، وذلك لتغذية الطبقات الجوفية لإستعمالها لاحقا بواسطة أبار الري، وبامتلاء السدود تفيض في المجرى الطبيعي للوادي تتولد فيه سدود صغيرة، الهدف منها تخفيف شدة جريان الوادي، وكذا تسريب التربة الصالحة لسقي البساتين المجاورة للوادي.

يشتمل هذا النظام على أبراج وغرف لمراقبة السيل والسهر على حسن تنظيم وتوزيع المياه وبالتالي الحد من الأضرار التي يمكن أن تلحقها هذه الأخيرة [1].

1- ديوان حماية وترقية سهل وادي ميزاب، تقرير عن توزيع مياه السيل لواحة غرداية، 1998، غرداية، ص4.

للمزيد أنظر: Jean Berien, Le Miracle de l'eau à Ghardaia, bulletin de comité de l'Afrique Française, Décembre 1930, p314.

من المؤكد أن نظام تقاسم المياه بميزاب لم يكن وليد الصدفة، إذ أن الحاجة بالضرورة كانت وراء هذه الفكرة، علما أن مياه ميزاب شحيحة وقليلة، وإن حدث وحمل الوادي بكميات غزيرة، فإن الأهالي لا يستفيدون منها، إلى جانب عدم إستقرار مواسم الإمطار، ففي بعض السنوات تعرف الشبكة موسمين أو ثلاثة مواسم من السيل، ويحدث أن لا تعرف المنطقة قطرة ماء لسنوات، مما يؤدي إلى الجفاف، علما أن المنطقة لها مياها جوفية، لكن يبقى عدم توفر الإمكانيات الأولية تقف دون إستغلالها لبعدها عن سطح الأرض، وأمام هذه الأسباب وغيرها كان لابد من إيجاد حل أو وسيلة لإستمرار الحياة.

وهنا لا يفوتني أن أشير إلى أن الميزابي الإباضي الذي إختار الصحراء للعيش فيها ناءا عن مذهبه، ربط مسألة الإيمان بالعمل مباشرة إذ إعتبر الشقاء والبؤس والفقر عقابا يسلطه الله على عباده الذين لا يعملون ولا يكدون [1].

ولإستمرار الحياة في الشبكة، الحل فعلا كان على يد رجل له فضل كبير في إنقاذ الناس مما عانوه من جفاف وفياضانات ومانتج عنهما، فأمام ضياع المياه خطرت للشيخ* حمو والحاج فكرة لإستغلال المياه وتقسيمها بطريقة شرعية.

1- Constant (Ives), La cité Abadite de la vallée du M'Zab, thèse 3ème cycle, Nancy, 1979, p88.

* الشيخ حمو والحاج أحد شيوخ غرداية القدماء المتوفى سنة 1162 هـ وقيل سنة 1129 هـ / 1717 م.

حسب الشيخ داود التومي فإن هذا الحدث يرجع لسبعة قرون مضت حين قصد الشيخ أهل ساقية أنعاليف فعرض عليهم أن يتقاسموا مياه أودية لبيض ووادي لغديرة، فقال له أهل ساقية أنعاليف،" لأهل ساقية بوشمجان، هذا السيل كالأسد في قوته من إستطاع أن يقوده فليقده، فاتفقوا على ذلك فخرج الشيخ حمو والحاج جهز قواه لجمع مياه هذه الأودية والتحكم فيها فقام بأول عمل في بناء ساقية بوشمجان توصل الماء إلى البساتين والجنائن حاصرها، وجعل الساقية تحت الجبل ليبعدها عن الفيضان والإنجراف، فأوجد سدا مابين ساقية تاكضيت (أنعاليف) وساقية بوشمجان، هذا السدّ يحجز المياه لتغذية الطبقة الجوفية للآبار*.

للتحكم في هذا السدّ إتخذ حمو والحاج المراحل التالية:

كانت ساقية تاكضيت (أنعاليف) هي الساقية الرئيسية، أصبحت ساقية بوشمجان هي المتحكمة في توزيع المياه، بعد أن جعلت لها هندسة تمكنها من حجز مياه السيل، بني للسيل عند المنعطف جدار ممتد من بداية المنعطف إلى حدود الساقية أي إلى بداية الكوة مما لا يسمح للسيل من الإتجاه للجهة الأخرى، فعندما يفيض السيل ينسكب عن طريق الجدار متجها نحو ساقية تاكضيت وهي التي كانت تأخذ القسط الأوفر من هذا السيل، وبتزايد المياه تتجه إلى أصلها أي إلى المجرى الطبيعي للوادي.

---

* الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرساطي النفوسي، في كتابه "القسمة وأصول الأراضين" تعرض لفكرة تقسيم المياه، وأكد أنها جائزة سواء في ذلك الماء الجاري أو ماء المطر والرواكد من المياه، مثل الآبار والعيون والمواجل وكذا الأحواض، والشركاء يتداركون القسمة فيما إشتركوا فيه على قدر ما يكون لهم فيه المنافع، ويجبرون عليها على قدر نظر الحاكم أو الجماعة مما لا يضر بنباتهم، وعن الماء الجاري فقد أشار أنه إذا أراد الشركاء أن يقسموا الماء الجاري فإنما قسمته على الساعات والأوقات و الليالي.

للمزيد أنظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن بكر الفرسطائي، القسمة وأصول الأرضين، تحقيق بكير بن محمد، صالح ناصر بابة 1997، ص 108.

من خلال هذا يتبين لنا أن الأهالي إتفقوا على حماية الساقيتين فأصبحت ساقية بوشمجان هي الرئيسية لتأتي بعدها ساقية أنعاليف ليليها السدّ بعد أن تزداد قوة المياه [1].

لعل هذا العمل يدل على العبقرية والتنظيم والمستوى الحضاري، رغم قلة الوسائل وفي هذا السياق لا يمكن أن نتطرق إلى سدود ميزاب دون التعرف إلى الأودية التي تنفرع عن وادي ميزاب الذي يمتد من الشمال الغربي إلي الجنوب الشرقي فيستمد مياهه من وادي لعديرة ووادي لبيض والتوزوز فيسقي واحة غرداية متجها نحو القصر إلى أن يصل إلى واحة مليكة ليسقيها، فيمده من الغرب وادي "أنتسا" الذي يسقي واحة بني يزقن، ومن الشرق فيصب فيه وادي أزويل بعد أن يسقي واحة بونورة متجها نحو العطف و زلفانة ليصل إلى نفوسة شمال وارجلان "الهيشة".

ينقسم السيل بوادي ميزاب إلى جهتين، شرقية وغربية، الجهة الشرقية تستقبل مياه وادي لعديرة، ووادي لبيض، أما الغربية فتستقبل مياه وادي التوزوز، وادي الراعي، وادي بلغم، شعبة النيشان وشعبة بلحاج داود و وادي أنتسا ببني يزقن.

للإيضاح يمكننا أن نلخص أصول الأودية و تعاريفها بالشبكة فيما يلي:

1- ناحية السيل شرقا :

ينسكب من لعديرة ووادي لبيض، يلتقيان في مكان يدعى"أملاقا"من الناحية الشرقية لضاية بن ضحوة، و ينسكب أيضا من شعبة إينيرز، وشعبة يحي أفرضاس وشعبة عوقبا، وبابا والجمة، والحاج عباس، وأزويل، وشعبة العطف.

- **وادي لعديرة** : أصل تسميته ترجع لكثرة جداوله، إذ يقال أنه يصب فيه أكثر من ثلاثمائة جدول أشهرها، جارف، بوبريك، يحده شرقا وادي باللّوح يسقي واحة بريان أما من الغرب فيحده وادي لبيض.

1- بو مريقة الحاج سليمان، تنظيم السيول بوادي ميزاب، ص 9،8.

ب- وادي لبيض :

لكثرة زبده سمي كذلك، ولأنه أطول بكثير من لعديرة إذ نجد جداوله الأولى تبتدأ إلى ما بعد ضاية لوصيف يحده شرقا لعديرة وحاسي الرمل وغربا متليلي، التوزوز وأربدان.

ج- شعبة إينيرز :

تسمى كذلك لأن مياهها قوية، وهذان الواديان والشعبة تصب كلها في ساقية بوشمجان، التي يقال أن معناها أبو الوصفان، وهي مرتبطة بحكاية أو أسطورة شهورة في منطقة ميزاب، إذ قيل أن هذا الوادي قديما كانت تأتي مياهه من بعيد وحدث أن سال الوادي والشمس ساطعة، بدأ المنادي، يخبر الناس بوصوله وبالتالي الفرار لمن كان في بستانه وهو غافل، لإخباره بقدوم المياه التي قد تهلكه ويقال أنه كان هناك في إحدى الغابات من الناحية الشرقية للوادي الكبير أي بوشمجان عبد بسقي البساتين لسيده عن طريق بئر وعند سماعه لنداء المحذر بقدوم المياه، أسرع لسيده وأعلمه بذلك غير أن هذا الأخير أجبره على الرجوع للبستان، بدأت المياه تتسرب داخل البستان، فرجع لسيده لثاني مرة لكن دون جدوى، وأمام عناد السيد هرب العبد حاملا معه مجموعة من جريد النخيل، متبعا مجرى الساقية فانعرج مع الوادي الأبيض حتى وصل إلى مكان بين جبلين، هنا فكر في حجز هذه المياه الغزيرة، نصب هناك الجريد وغمرها بالتراب، وهكذا وبمرور الزمن وتأثيرات الأمطار والرياح تكون سدّ، فمنع هذه المياه عن مجرى الوادي، إستقرت هناك ونبتت أشجار وأصبحت ضاية عرفت بضاية لوصيف، سميت الساقية بإسمه أبو الوصفان.

أول ساقية بنيت لهذا الوادي هي ساقية أنعاليف نسبة إلى أهلها وهم الذين بنوها لكن كلما غزرت الأمطار * جرفت معها تلك الساقية وحدودها، واتجهت المياه بسرعة إلى القبلة مع المجرى الكبير، وبقيت الغابات الشرقية وغيرها محرومة من الغدير لذا طلب آهالي بوشمجان من آهالي أنعاليف أن يمنحوهم قسمة منه، فقبلوا واشترطوا عليهم أن يتركوا لهم مقدار ثقب صغير يسمى بالميزابية "أكضي" فقبل أهل بوشمجان واتفقوا أن يقودوا الوادي من أوّله، وذلك بعد الملتقى وأن لا يتراجعوا عن ذلك ولو إستأصل السيل جنائنهم كلّها (1).

لكن كيف قُسمت مياه بوشمجان بعد ذلك؟

حُصر السيل إلى ناحية الجبل الشرقي، بُنيت له كوة أو "تصنباض" ليخرج منها مقدار ما تحمله عليه ساقية بوشمجان، فإذا إزداد عليه إنسكب في بوشن، ثم إلى ساقية تاكضيت، فإلى مجرى الوادي الكبير، فلما وصلت مياه بوشمجان قرب الأجنة والغابات قُسمت إلى أربعة أقسام، ثلاثة منها كبيرة وقسم صغير فرعي.

عملية التقسيم كانت تتم عن طريق نواة التمر المسماة "أكربوش" ذلك لأنه غالبا ما تكون نواة التمر متساوية الحجم والمقياس تُرتب الواحدة تلوى الآخرى كالأصابع وتُقسم بها الكواة.

أما الأقسام الثلاثة الكبرى فهي القسم الغربي، الأوسط والشرقي، القسم الغربي يمثل سيل بنوح بن مرزوق، يسقي شمالا إلى تاكضيت وغربا إلى البركة وجنوبا إلى ناحية البوال، عدد أسهمه 107,5 تعادل خمسة أمتار.

---

1 - الحاج سليمان بومريقة، تفاصيل، ص 10.

* إرتبط قدوم الوادي أو السيل بميزاب بعدة أساطير، وهي من المعتقدات وتقاليد الشعوب والأمم عامة والتي آمن بها الميزابيون، فمثلا بقدوم السيل بقصر قورارة يلجأ هؤلاء إلى وادي زقرير يذبحون عدة شياه سودا، فيطهى اللحم في قدر كبير يأكل في الموضع نفسه، لكن يجب أن يترك مقدار من المرق عند قاع القدر، وبعد أن يبرد، يوضع طفل صغير في ذلك القدر ولا يخرج إلا بعد أن يصرخ مرتين (الوادي، الوادي)، يقال أنه بمجرد أن يصرخ الطفل يحمل الوادي.

القسم الأوسط يدعى حمو عيسى يسقي جنوبا نحو أحباس أجديد وشرقا إلى ناحية بحي أفرضاس، عدد أسهمه 150,5 يساوي سبعة أمتار، أما القسم الشرقي يسمى الشعبة ويسقي الشعبة التحتية إلى بابا أو عيسى شرقا وجنوبا، عدد أسهمه 86 تساوي أربعة أمتار [1].

القسم الفرعي الصغير، يسمى بوضريسة يوجد في أقصى القسم الغربي ويسقي البساتين التي تحت بوليلة ، عدد أسهمه 4,37 تساوي خمسة وسبعين سنتيم .

أما فيما يتعلق بالشعاب الشرقية لوادي ميزاب وهي التي تصب فيه، تأتي شعبة بحي أفرضاس، نسبة إلى ملاك تلك النواحي في القديم، مياهها تسقي كثيرا من الغابات وتختلط بمياه بوشمجان.

- **شعبة عوقبا**: تنتسب إلى جماعة من الناس قدموا من تيهرت، تفرقوا إلى أربعة فرق منهم هذه الفرقة التي فرت من بطش العبديين فقبروا هناك.

- **شعبة بابا والجمة**: تنتسب إلى الوالي الصالح، فيها فرعان، أحدهما ينسكب من الناحية الجوفية الملتصقة بالعديرة، والآخر من الناحية الشرقية، شعبة الحاج عباس تنسكب في وادي مليكة [2] .

هذا فيما يخص الجهة الشرقية.

---

1 - تقرير، نظام توزيع مياه السيل، ص 12.

2 - بومريقة، تفصيل، ص 14.

ب- ناحية السيل غربا:

أما الناحية الغربية، فأهم الشعاب التي تسيل في مجرى وادي ميزاب هي:

رادي التوزوز، وادي بلغنم، وادي أخلخال، شعبة النيشان، شعبة بلحاج داود، وادي أنتسا.

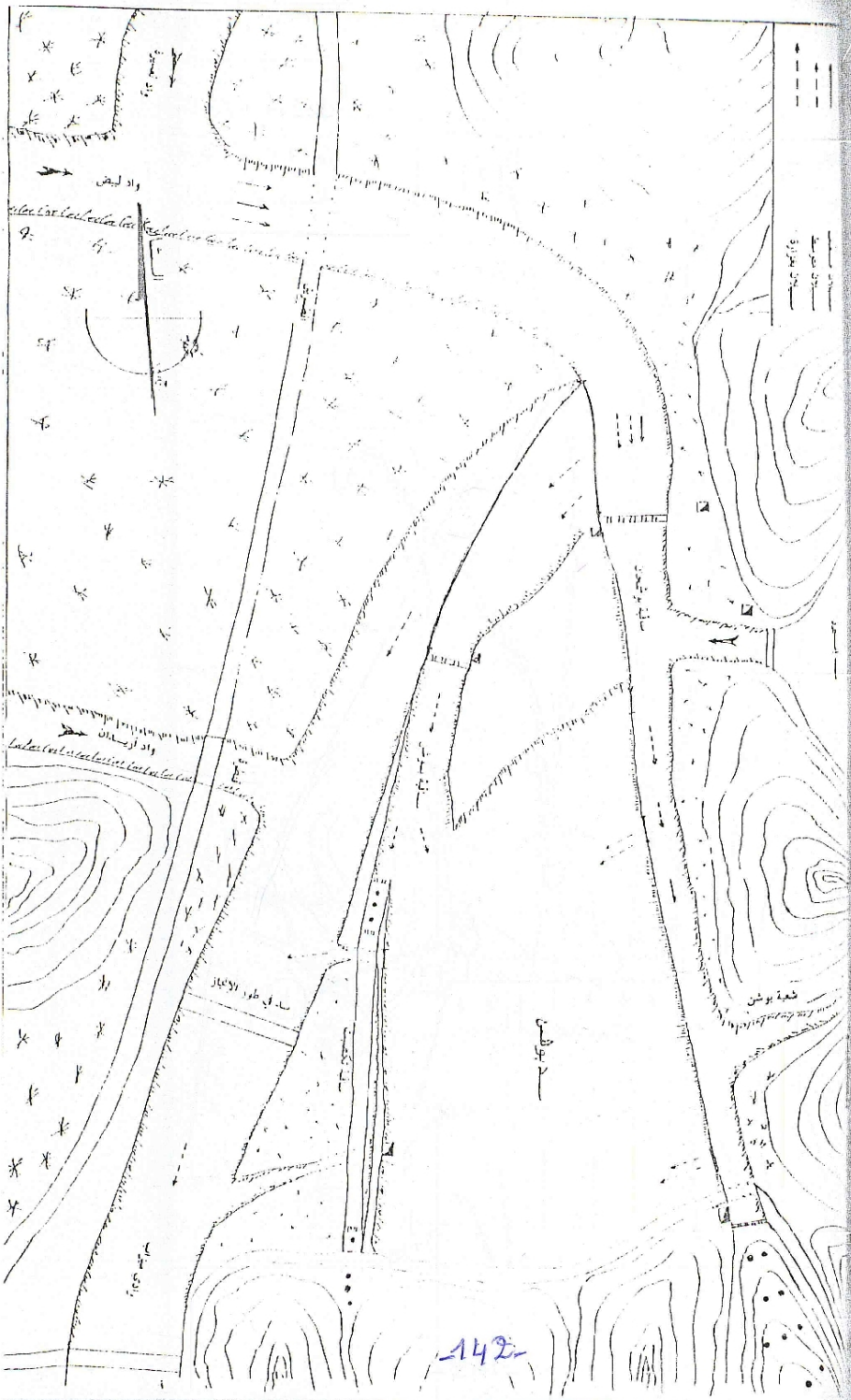
ركما في الناحية الشرقية، كانت مياه السيل تجري في مجراها الطبيعي ثم أقيمت لها ساقية تدعى الساقية التحتية تسقي جزءا من الواحة الغربية والفائض يوجه إلى سد توزوز، وبعدها أنجزت ساقية أخرى لا تصل إليها الساقية الأولى، سميت بالساقية الفوقية والفائض يوجه تلقائيا نحو سد توزوز الذي يفيض بدوره في المجرى الطبيعي لوادي ميزاب.

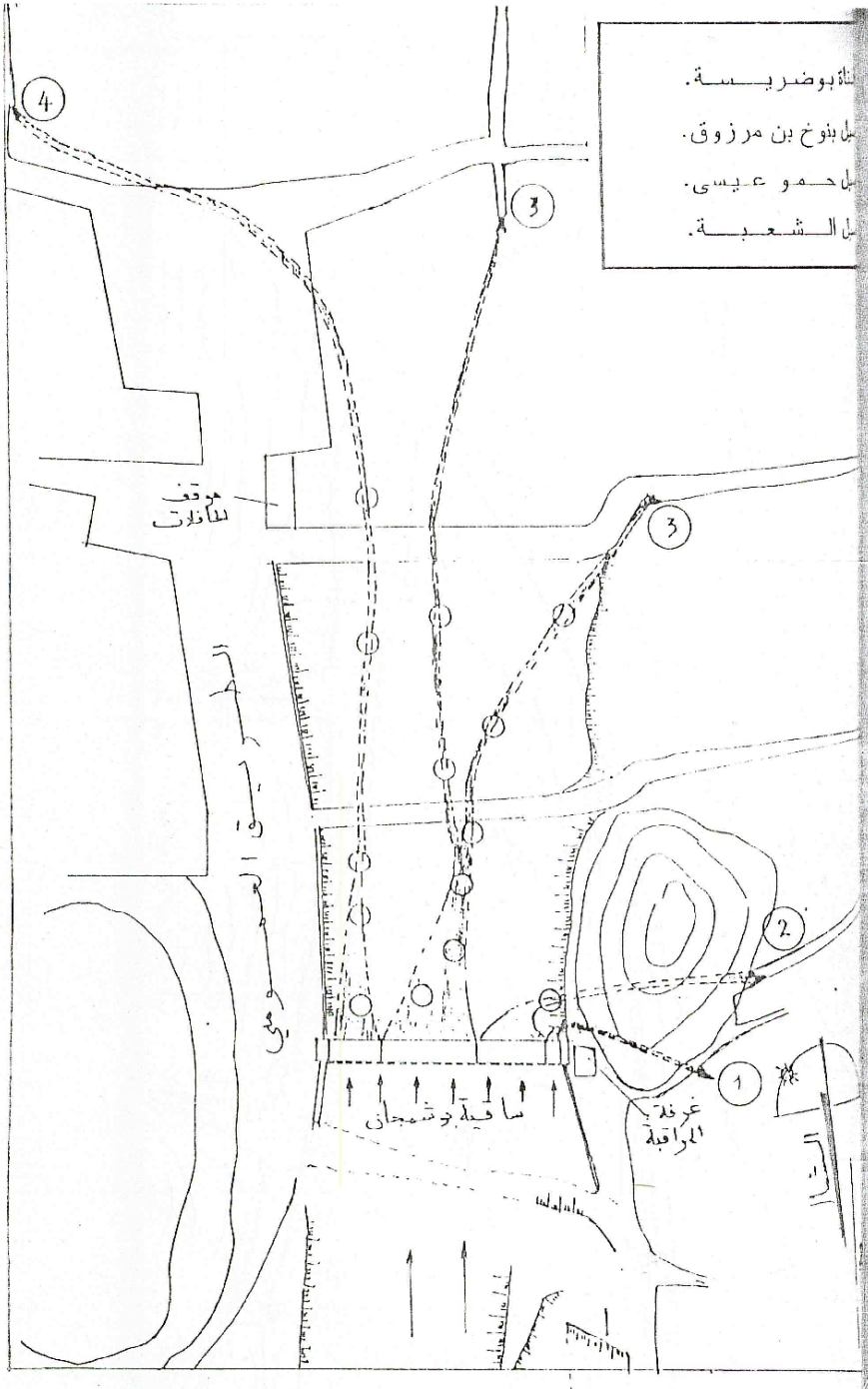
نظام المياه لواحة غرداية يعتمد على نفس المبادئ التي توجد بالجهة الشرقية .

- الحالة الأولى (سيلان ضعيف)، هنا يتجة آليا إلى الساقية الفوقية.

- الحالة الثانية (سيلان متوسط)، فإن جزءا منه محددا منه يمر عبر الساقية الفوقية والجزء الآخر يعبر المصبات ويفيض إلى الساقية التحتية.

- الحالة الثالثة (سيلان غزير)، يوزع الماء كما في الحالتين السابقتين الفوقية والتحتية أما الفائض فيوجه نحو سد التوزوز والذي بدوره حين يمتلأ يفيض نحو المجرى الطبيعي لوادي ميزاب.


واد أبيض
واد أوسان
شعبة بوشن


ناة بوضريسة.
ل بنوخ بن مرزوق.
ل حمو عيسى.
ل الشعبة.
موقف للحافلات
الطريق الوطني
قافلة بوشمجان
غرفة المراقبة
1
2
3
4

-144-

نجد "شال آمات" في كتابه "ميزاب والميزابيون" يتعرض للأودية التي تتفرع عن وادي ميزاب، من الشمال يظهر وادي آنتسا بدايته من أنغيد من الشرق النيلي يتدفق في الهيشة، وفي شمال أنقوسة قرب وارجلان في طريقه يلتقي أودية سطانة، رقام وادي الكبش، وادي البقل، وادي السودان، وادي بلّوح، وادي البير، عند الأسفل يبدأ وادي ميزاب في شمال غرب الشبكة فيتجه نحو الشرق لكي يتدفق في أسفل الهيشة بحوالي ستة عشرة كيلومتر شمال أنقوسة، أما في الغرب وادي أنتسا تتوزع أودية التوزوز، أنتسا وزويلي.

على حدود الشبكة نجد وادي زقرير يمر إلى قرارة ويسر بحوالي خمسة عشرة كيلومتر جنوب شرق هذه المدينة، كما تصله كل من أودية العش، المغير وبوعشة [1].

كما سبق وأن ذكرنا أن هذه الأودية هي التي تزود الأراضي الميزابية بالمياه وذلك عن طريق السدود.

1- Amat (Charles); Le M'zab et les Mozabites, Paris, Challamal, 1888, p 129.

ب-سدود ميزاب:

أقام الميزابيون على الوادي وروافده سدودا مختلفة، لحجز السيول، فبسد توزوز مثلا نجد ثلاثة سدود، السد الموجود في الأعلى صنع عن طريق الحجارة الجافة بحميه تحجير (رصف الحجارة والصخور في أعماق الماء) والدبش (حجر غير منصب) من جهة يسار الوادي متجها حتى الضفة اليمنى، يعمل هذا السد على تزويد القناة التي تجري على الجانب الأيمن للجبل، لعل هذا ما جعل عملية التسرب ممكنة للجهة العليا للواحة.

السد الثاني بني ليمكن المياه من العبور تحت السد المتعرض للرمال بحوالي خمسة أمتار من الارتفاع، وحماية الأراضي من الفيضانات، والمجرى الطبيعي يعمل على سقي قسم من البساتين الواقعة في الضفة اليمنى للوادي.

السد الثالث هو سد متين وصلب صنع بالدبش طوق ببلاط من الكلس، يعمل على حفظ المياه التي مرت تحت السدين السابقين وتحويلها في قناة تمر باطنيا للسد الكبير المستعرض لسقي الجهة الوسطى للواحة[1].

نجد كذلك في عالية وادي ميزاب ثلاثة سدود متشابهة ترتبط في الضفة وتمشي منحرفة لترتبط كلها في السد، السد الأول يعمل على سقي الجهة الوسطى للواحة وذلك بانحراف كمية من المياه لنفس القناة للسد العالي لتوزوز.

1- Feliu (F), Etude sur la Législation des Eaux et de la Chebka du M'Zab, 1909, p14.

أما السد الأوسط يتكون من حوالي ثلاثين متر لأسفل سابقه، فمياه هذين السدين تتجه لتجتاز باطنيا السد الكبير الثالث، وهو يبعد بحوالي مائة وخمسين متر عن الثاني، فيحفظ المياه المتسربة تدريجيا، وبالتالي يزود الأبار بالمياه، والنسبة المائية التي تحتجز عن طريق الفيضان تمر تحت قمة السد متجهة عبر قناة عريضة على طول الضفة اليسرى للوادي، تكون أربعة عشرة قدما قبل أن تجتاز باطنيا السد الكبير المستعرض،تحت قصر مليكة، نجد سدا كبيرا بحوالي ستين متر في الطول عرضه يقدر بثلاثة أمتار، بني للحفاظ على المياه المتسربة عن الفياضان الكبير نبعمل على تراجع طمي الضفة اليسرى.

الملاحظ أن آبار هذه الجهة تزود عن طريق التسرب .

عند أسفل بني يزقن يستقبل وادي ميزاب وادي أنتسا على طوله توجد البساتين نستقبل بسد مع بداية الواحة، ومقابل كل وادي تكون المياه مركزة في الوسط، في ممر مائي منحدر، تتفرع في كل الجهات عن طريق سدود صغيرة وهنا يكون السد الرئيسي عند أسفل الوادين طوله مائتين متر، أما إرتفاعه فيقدر بمائة مترامن بني يزقن وادي ميزاب يتجه إلى بونورة عن طريق الشمال - الشرقي عند أسفل المدينة بستقبل وادي زويلي حتى بونورة، إذ أن هناك ثلاثة أو أربعة سدود أنشئت لتحافظ على المياه وتوزعها على البساتين، وهي المياه المتجمعة بواسطة الأمطار.

عند أسفل بونورة نجد سد ليس عالي لكن يتسع عرضا، تتدفق مياهه على يمين الوادي، وأهم سد يتواجد على بعد كيلومتر واحد أسفل القصر بارتفاع أربعة أمتار وطوله مائة وخمسين متر يتسع كلما اتجهنا نحو الأسفل، بني بطريقة جعلت فتحاته عند الجهة اليمنى، ولعل هذا ما جعله يوصل مياهه حتى واحة العطف عندما تعرف المنطقة فيضانات كبرى .

على بعد مائة متر أسفل القصر نجد سد طوله مائتين متر يسقي واحة متواجدة بالجهة اليمنى للوادي، سوره مرتفع بمترين.

للإشارة أنه بعشرين متر فقط أسفل هذا السد يوجد سد آخر يشبهه تماما هو الذي يحوي المياه المنسابة عن طريق بئر بالجهة اليسرى [1].

أما سد العطف فيقع على بعد ثلاثة كيلومتر في الجنوب على وادي ميزاب ارتفاعه ثلاثة أمتار وطوله خمسمائة متر، يزيد سمكه في بعض الأحيان عن عشرة أمتار، ويعتبر أول سدود ميزاب.

وادي متليلي له سدين، لا يتجاوز طولهما المترين، أنشئت هذه الأخيرة لحفظ مياه الفيضانات الكبرى.

ولكي يجبر أهالي قرارة مياه الوادي عند جريانه بالمرور على المناطق اللازمة والمهيئة أنشأوا سدا كبيرا على وادي زقرير طوله كيلومتر وعرضه مائة وخمسين متر كما نجد سد آخر عند أسفل هذا السد، طوله أقل بالنصف يتكون من سورين.

وللسدود أهمية بالغة في تخزين المياه القليلة وصد الأودية من المرور إلى الرمال التي تمتصها بسرعة، وبفضل هذه السدود تمتص التربة المياه وتغدي بذلك الأبار عوض ضياعها في الرمل.

وقد اتبع الميزابيون طريقة خاصة في بناء السدود تجلت في العمل التطوعي الجماعي (التويزة).

1- يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، ص 39.

4- الأبار الميزابية

الطبقة المائية بميزاب ذات عمق معتبر، لذا تحفر الأبار على حافة الوادي للوصول إلى هذه الأخيرة، ومن واحات ميزاب السبعة، تظهر خمسة واحات متقاربة وهي واحة غرداية، مليكة، بني يزقن، بونورة والعطف، أما كل من بريان وقرارة نجدها بالأسفل لكن رغم هذا التواجد بأسفل الوادي نبقى دائما بعيدين عن المياه الجوفية.

أبار ميزاب يتراوح عمقها ما بين ثمانية وخمسة وخمسين مترا مكعبا وتبقى مياهها غير متدفقة هذا ما يلزم الحفر بأعماق تصل إلى ثلاثين أو خمسين متر وأكثر [1].

تحمى أبار ميزاب بواسطة حجر مثقوب حول فوهة البئر ، ترتفع بعمودين مائلين قليلا مصنوعين بالحجر والجبس المحلي بارتفاع مترين إلى مترين ونصف، في واجهتهم يعرض حجران أو ثلاثة، تساعد الفلاح على الصعود لوضع البكرة والحبل في مكانها، تجلب المياه من الأبار بدلو أو قربة حمولة الدلو تقدر بثلاثين متر.

إن عملية جلب المياه لا تقتصر على الإنسان فقط بل يساهم فيها الحيوان خاصة الإبل والحمار، الدابة تجلب ما يعادل ثلاثة متر مكعب من المياه في الساعة، هذا إن كانت خطواتها سريعة أما إذا اجتمعت دابتان في بئر تحتوي على باكرتين، جلب المياه يكون مضاعفا، وفي حالة ما عملت الدابتان لمدة ثماني ساعات دون انقطاع نحصل على حوالي خمسين متر مكعب، الأبار كانت تستغل طول النهار وحتى في الليل [2].

1- Brunthes (J), Les Oasis du Souf et du M'Zab, Bulletin de comité de l'Afrique française, décembre 1938, p 176.

2- Pottier (R), La Législation de L'eau au M'zab, Encyclopédie Mensuelle D'outre Mer, janvier 1959, pp 5...9.

يجتمع حفارو الأبار في مجموعات على رأسهم شيخ يراقب أعمالهم، وكان العبيد القادمون من السودان يقومون بحمل الماء للأهالي عن طريق عصا طويلة توضع فوق الكتف وفي وسطها الدلو، هؤلاء يعرفون بالسقايين على رأسهم أمناء الماء.

تبقى عملية جلب الماء مرتبطة بصانعي الدلو والبكرة، فهذه الأداة السريعة التلف يجب تغييرها كلما تطلبت الحاجة، لذا نجد هؤلاء (مصلحو الآلات)غير بعيدين عن الواحات والبساتين [1].

يرى (جون بريان) أن عملية حفر الأبار تكون شاقة جدا وذلك لطبيعة ميزاب الصخرية فطريقة الحفر واستغلال المياه أتى بها الإباضيون في القرن الخامس الهجري (العاشر ميلادي) حين كانوا في سدراتة[2].

ويذكر أن الميزابيين حفروا ما يقرب خمسة آلاف بئر في المدن السبع على تلك الأراضي الصخرية [3].

1- Pottier (R), L'eau Problème Numéro un pour les Mozabites, Sciences et Voyages, décembre 1947, p 371.

2- Idem, p 373.

3 - دبوز (محمد علي)، نهضة الجزائر الحديثة، الجزائر ص 177 .

تبقى وسائل حفر الأبار مرهونة بالظروف العامة المحيطة بالمنطقة، وفي ميزاب يجب أن تكون العملية مرادفة لحبل ينزلق على بكرة، في طرف الحبل يشد إناء وهو يكون من قربة مصنوعة من جلد الماعز حمولتها تتراوح ما بين أربعين أو خمسين لتر، وفي الجهة المقابلة لهذه القربة وهي عبارة عن يد من نحاس طويلة طولها ستين سنتيم وهي الفتحة، هذه اليد تستعمل بحبل ثانوي يعمل على تدعيمها، يسقط الحبل بدوره على بكرة أخرى، وبهذا نستطيع إنزال يد القربة في الماء وإخراجها من عمق البئر، نشير أن الإبتعاد عن البئر ضروري لسحب الماء، وكلما ازداد عمق البئر لا بد أن يكون الطريق أطول، يقوم الفلاح بتكليس القنوات الصغيرة كي تستطيع المياه التسرب إلى السواقي التي تنقلها من الأبار إلى الواحات [1].

يظهر أن واحات ميزاب تسقى عن طريق الأبار والسدود، وعملية تقسيم المياه تكون بواسطة قنوات السقي، أو الساقية الرئيسية والتي تتفرع بدورها لعدة سواقي التقسيم لا يكون إلا بحضور ثلاثة أمناء فنجد هيئة الأمناء مهمتها مراقبة السيول وتقسيمها تعرف بـ "لاومن" مكونة من خمسة إلى عشرة أعضاء يجب أن تتوفر فيهم شروط منها الورع الأمانة والثقة، من مهامها كذلك بناء الكواة الجديدة والسدود وللهيئة اتفاقيات وقرارات عن التنظيم، يختار الأمناء من أهل الحل والعقد.

قبل التطرق إلى كيفية تقسيم المياه على أجنة ميزاب وكيفية بناء الكواة، لا بد أن نشير إلى واحات ميزاب وأهم الأودية التي تسقيها.

1- Brunthes (J), Les Oasis du Souf et du M'zab, p 176.

II- أهم الأودية التي تسقي واحات ميزاب:

1 - **واحة غرداية**: تسقى واحة غرداية عن طريق ثلاثة أودية، وهي وادي ميزاب وادي التوزوز، وادي جربنت، في عالية البساتين نجد ثلاثة سدود في وادي ميزاب بروافده مهمتها تتمثل في توزيع المياه المتجمعة عن طريق السيل لعدة فروع والفرع الرئيسي يمر في وسط الواحة عبر ممر مركزي لسقي البساتين، في الجهة اليمنى نرى نرعين أقل أهمية تجري مياهه في قانتين كبيرتين تعرف بالساقية التحتية والساقية الفوقية، في الجهة اليسارية تظهر المياه المتعرجة عن طريق السدود التي تغوص في "تصنباض" * وجزء منها يصل لحوض مصطنع، عدد تصنباض يقدر بإثنين وعشرين أما "تاكضيت" ** عددها إثنان تعمل على سد القنوات الباطنية، وتوزع المياه إلى ستة قنوات متشابهة في الجهة اليمنى، هذا بعد أن تكون قد مرت تحت سد من الرمال في شكل كثيب عند شمال الواحة تصادفنا في هذه الجهة أسوار البساتين التي لها وظيفتين، ففي الوقت العادي تعتبر الممرات لعبور الواحة أما عند سيلان الوادي فهي تعد الشريان الرئيسي لنظام السقي.

---

* تصنباض كلمة بربرية تعني فوهة يبلغ ارتفاع فتحتها 1,50 م متصلة بقنوات تحت الأرض تصرف منها مياه السيل.

** تاكضيت، كلمة بربرية تعني كدية أي أرض مرتفعة قليلا، وتاكضيت حاليا هي ناحية تقع بالجهة الشمالية بواحة غرداية.

2- **واحة مليكة**: بعد أن يسقي وادي ميزاب واحة غرداية، يتجه نحو مليكة ستقبله سد منيع يحجز المياه عندما يكون السيل غزير تتراجع هذه المياه على لجهة اليسارية للوادي، حيث تسقي أبار المنطقة، بساتين مليكة ليس لها موارد خرى للسقي (نهرية)، وتعتبر من القصور الميزابية الوحيدة التي لم يطبق عليها انون تقسيم المياه وبقدوم مياه السيل تحجز في السد وبطريقة ميكانيكية تتدفق في لواحات لتسقيها وتستمر المياه في التسرب نحو الجنوب حتى تصل سد ونورة [1].

3- **واحة بني يزقن**: تستفيد هذه الواحة من مياه الأمطار لوادي أنتسا وهو أحد روافد وادي ميزاب، ووادي أنتسا يستقبل وادي أنغيد وفي ملتقى هذين الواديين تظهر البساتين على طول الوادي، وادي أنتسا يخضع لأول عملية تقسيم على أربعة سواقي، الساقية الغربية، الوسطى، الكبيرة، ساقية الزقاق.

أما المياه المتجمعة في وادي أنغيد فتتوزع على أربعة سواقي، وهي الساقية الشرقية، الغربية، داية، بوشمجان [2].

الساقية الغربية تسقى بشبكة تحتوي على إحدى عشرة مأخذ ماء بثلاثين سنتيم في العرض وعشرين متر في الطول، فهي تسقى البساتين من سد الحاج موسى حتى واحة دادي بن بلحاج .

1- Pottier (R), Législation, pp 45-46.

2- Addoun Daddi (Aicha), Sociologie et Histoire des Algériens Ibadites, Ghardaia, 1977, pp 71-72.

الساقية الشرقية تسقي البساتين الموجودة من الحاج أحمد بن شقلة وواحة الحاج يوسف بمعدل إثني عشرة مأخذ ماء بثلاثين سنتيم في العرض وعشرين سنتيم في الطول، ساقية داية لها ستة وأربعون مأخذ ماء، عرضها ثلاثين سنتيم، طولها عشرين سنتيم تسقي البساتين المتواجدة في طريقها، من الحاج ابراهيم حتى واحة حمو بن اسماعيل.

وأخيرا ساقية بن شمجان* بشبكة تقدر بإثنين وعشرين مأخذ ماء، عرضها عشرين سنتيم وطولها سبعة عشرة سنتيم، تسقي البساتين المتواجدة بين سد الجاهل وواحة مرزوق، وهذه الواحة تسقى بدورها عن مياه وادي أنتسا.

4- **واحة بونورة**: أغلب واحات بونورة توجد بوادي زويل تنفتح على الجهة اليسارية لوادي ميزاب، تسقى عن طريق ثلاثة سواقي، فالساقية الغربية تمتد للغابة الكبيرة لها عشرين مأخذ ماء بطول يقدر بأربعين سنتيم في العرض والطول.

ساقية بلحاج تبدأ من فاوني وتنتهي في واحة حواء لها شبكة بها تسعة عشرة مأخذ ماء بخمسين سنتيم في العرض وخمسة عشرة سنتيم في الطول.

علما أن مياه ميزاب التي لم تمتص في كل من قصر مليكة وغرداية تستقبل في السد بأعلى قصر بونورة، والمياه التي لم تستطع أن تحجز في السد الكبير تتجه نحو السد العطف.

---

* إشمجان في اللغة الأمازيغية الميزابية تعني العبيد ومفرده إشمج ويبدو أن الذين حفروا هذه الساقية هم العبيد.

د- **واحة العطف**: إن فائض المياه التي لم تستعمل في كل من سد غرداية ومليكة بعد أن سقت بونورة تتجه لتصل إلى واحة العطف، وذلك دون أن يتدخل الإنسان فالميزابي قد ضاعف من حفر الآبار على حافة الوادي لسقي البساتين العالية، أما البساتين المتواجدة في الأسفل فقد خصصت لها مجموعة من السدود تعترض الوادي وفيها تصب في الجهة اليمنى، هذه المياه الآتية من روافد وادي أولاول.

توزيع مياه هذا الوادي يتم قرب سد شابة تمر بساقية مهمة، وهي ساقية أولاول وتنتهي في واحة البرج بها ستين مأخذ ماء الأولى بطول واحد وثلاثين سنتيم والثانية بثلاثين سنتيم وثالثة بارتفاع ستة وعشرين سنتيم، أما باقي المآخذ فطولها مئتان وخمسة وعشرين سنتيم، وعرضها خمسين سنتيم.

تتجمع هذه المياه في السد وتتسرب في الأرض لكن أكبر كمية من المياه تتجه إلى وارجلان (الهيشة)، وتعد العطف من أقل قصور ميزاب سقيا عن طريق السيل.

و- **واحة بريان** : تقع شمال ميزاب عند وادي السودان ووادي باللّوح وتعد من البساتين الأكثر سقيا بمياه السيل، نادرا ما تعاني من الجفاف، رغم عدم عمق آبار بريان فهي كثيرة المياه، خاصة أنها تسقى عن طريق أربعة أودية، هي وادي السودان، وادي رزقي وادي باللّوح، وادي لمادة.

لوادي السودان سواقي رئيسية، الساقية الوسطى، الكرم، ساقية البساتين الساقية لوسطى تسقي البساتين المتواجدة بين سد الكرم وواحة دلفة، في طريقها ثمانية وأربعين مأخذ ماء بعرض يقدر بخمسة وأربعون سنتيم وكلما ارتفعنا بمأخذ ماء يزداد سنتيم واحد إلى أن يصبح ذا طول يقدر بثلاثة وخمسين سنتيم، أما ساقية الكرم نهي تسقي الواحات المتواجدة بين سد الكرم وبستان طاهر بن العربي لها خمسين مأخذ ماء، عرضه أربعين سنتيم وطوله ستة سنتيم، كلما ابتعدت الساقية ازدادت سنتيم واحد .

ساقية البساتين تسقي الواحات الموجودة بين سد سيدي سلامة وواحة المفنون بها ثمانية وثلاثين مأخذ ماء بعرض يقدر بحوالي خمسين سنتيم، المأخذ الأول طوله ثمانية سنتيم يرتفع بسنتيم واحد بابتعاد الساقية.

وادي زرقي تنقسم مياهه إلى ساقيتين، الساقية الجوفية الساقية القبلية، الواحات الواقعة بدءا من سد الشيخ صالح إلى واحة دلفلة تسقى بالساقية الجوفية لها شبكة ذات ثلاثة وثلاثين مأخذ ماء، عرضها خمسين سنتيم، أما طولها يبدأ من عشرة سنتيم ويرتفع بسنتيم كلما ابتعدت الساقية [1].

1- Addoun (Aicha), Sociologie, p 73.

وادي باللّوح له ثلاثة سواقي، ساقية تحت القصر، الساقية الغربية، والساقية الشرقية كل النخيل الذي يوجد بين سد باأحمد بلحاج واحة الكروشة (توجد عائلة تحمل إسم كروشي) يسقى عن طريق ساقية تحت القصر، لها مائة وعشرة مأخذ ماء عرضها خمسة وثلاثين سنتيم، أما ارتفاع المأخذ الأول فهو بخمسة سنتيم، يزداد بسنتيم كلما ابتعدت الساقية.

الساقية الغربية تسقي أول سد الفخارة إلى واحة العربي بن الطاهر لها مائة وسبعين مأخذ ماء بثلاثين سنتيم في العرض وإثنان ونصف سنتيم، كلما ابتعدت الساقية زادت بسنتيم واحد.

الساقية الشرقية فهي التي تسقي الواحات الواقعة بين سد الفخارة وواحة حشان بها إثنان وعشرون مأخذ ماء، عرضها خمسين سنتيم وإحدى عشرة سنتيم في الطول وهي كذلك تزداد بسنتيم كلما ابتعدت.

أما فيما يخص وادي لمادة فله ساقية واحدة رئيسية تعرف بإسمه، تبدأ من سد الحاج بكير إلى واحة الحاج صالح تسقي كل البساتين التي تمر بها، عرضها أربعين سنتيم تزداد بسنتيم إلى أن نصل إلى تسعة سنتيم.

ي- **واحة قرارة**: تسقى واحة القرارة عن طريق واد واحد، وهو وادي زقرير، به سدان كبيران، الهدف منهما، حجز المياه الملتقطة عن التدفق، لتتجمع في طبقة مائية باطنية تتفرع في كل الاتجاهات وتسقي كل الواحات والبساتين التي تمر بها، إن آبار القرارة إن مسها الجفاف سنة واحدة تكفيها لتجف.

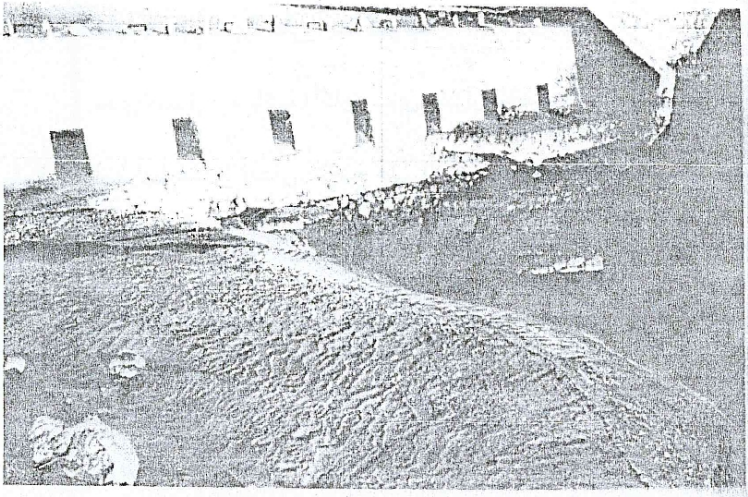
؟ كيفية تقسيم المياه على أجنة ميزاب:

مجرى السيل (الساقية) كان يسوى بميزان القصب، وهو عبارة عن قصبة مستقيمة يبلغ طولها عشرة أمتار، توضع على الأرض بين حجرتين صغيرتين يصب الماء في وسطها، وتتجه المياه إلى طرفها حتى تكون الحجرتان في نفس المستوى، تثبت الحجرة التي هي في اتجاه الغدير، تكرر هذه العملية إلى أن تصل الساقية إلى كوة البساتين .

الغرض من هذه العملية أن لا تجرف المياه أرضية المجرى، وعند منعرجات الساقية ولتفادي تصدع جدرانها على إثر اصطدام المياه بها، جعلت لها جدران بطريقة تحرف مجراها تدريجيا وتعرجها على حسب مجرى الساقية[1].

---

1 - ديوان حماية وترقية سهل وادي ميزاب، تقرير، ص 15.



الطائف من مياه السدود يوجد ثلاثة أثنا لملك السدود .



الفائض من مياه السواقي يوجه تلقائيا
لملئ السدود .

كيفية بناء الكوة:

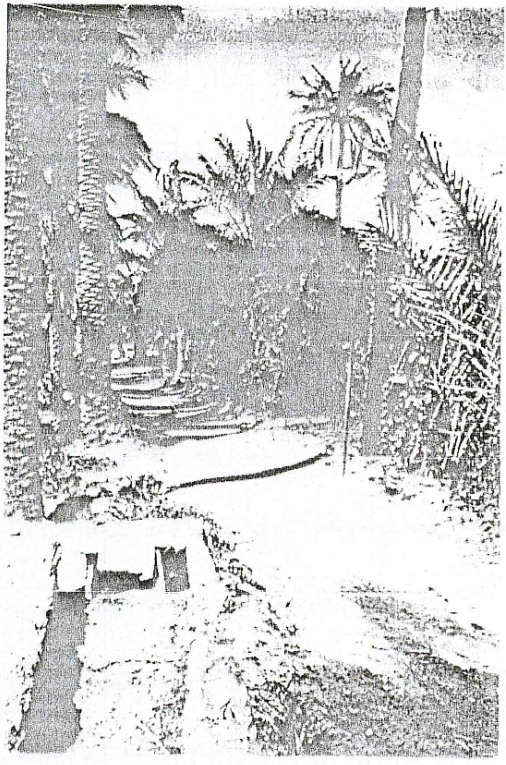
إن نصيب البستان من مياه السيل، يكون على حسب مشاركة صاحبه في أعمال بناء المجرى الذي يمر عبر بستانه ، من اليوم الأول إلى نهاية البناء، فمقدار الكوة بقدر مشاركته في العمل، يترجم ذلك في عدد الأسهم في كل بستان، ولتحويل السهم الواحد إلى وحدة طول معينة ولتبيان ذلك نتبع العملية الآتية:

يقسم عرض المجرى إلى عدد أسهم الناس المشاركين في البناء، فمثلا لو كان عرض المجرى يقدر بـ 2,40 م وعدد الأسهم 120سهم فطول السهم الواحد هو 120/2,40 = 2 سم.

ولإيجاد عرض الكوة نجري عملية الضرب، طول السهم يضرب في عدد أسهم صاحب البستان .

هكذا عملية نقل الماء إلى البستان تتم بهذه الطريقة، وهي كما سبق وأشرنا إليها تكون حسب قسمة مجموع من شارك في العمل والحاصل علوا على عدد الأيام التي شارك فيها ذلك الشخص، في العمل مضروبة في عدد الأيام أي أيام العمل، الحاصل في النتيجة يسمى السهم ولتحويل السهم إلى وحدة طول، نقوم بتقسيم عرض المجرى على عدد المشاركين والحاصل يضرب بالسهم الذي تحصل عليه ذلك الشخص، في الأخير يمنح مقدار عرض الساقية[1] .

1- Pottier (R), L'eau, p377.



سواقي تقسيم مياه السيل داخل الواحة على أساس الشامل التدريجي لسرعة التصريف واحتياج كل بستان بالنسبة لعدد نخلاته وطبيعة أرضه ومساحته.

إن عملية تقسيم المياه على واحة وبساتين ميزاب تكون تحت مراقبة وإشراف الأمناء والسهر على حماية هذه السواقي، وحين تطول مدة السيل، وتروى الأجنة بما فيه الكفاية فإن الأمين يسد فتوحات السواقي التي تؤدى إليها بواسطة الأحجار* وفي حالة ما يكون السد ممتلئا وتحدث عاصفة ممطرة من شأنها أن تقدم سيلان غزير، فإن الأمناء يحولون فائض السد نحو المجرى الطبيعي للوادي.

بهذه الطريقة المحكمة والدقيقة التي تدل على ثقافة الميزابي ومدى التضامن الموجود في المجتمع، استطاع أن يتغلب على مشكلة المياه رغم قلتها في المنطقة.

لأهمية نظام تقسيم المياه في ميزاب، عمل الحاج سليمان بومريقة** على وضع قواعد عامة في السيل، يمكن تحديدها فيمايلي:

- من تولى أمينا لا يرفض توليته.
- إذا سد الأمين كوة لسبب ما، لا يجرؤ أحد على فتحها إلا بأمره.
- من سرق سيلا تحرم غلته أربعين عاما.
- إذا كانت حوزة عالية وأخرى منخفضة، فأولى مقدار خلخال من السيل، ثم ينحدر إلى الثانية، ولا ينقطع عنها إلا بعد انقطاع السيل من أصله.

---

* اليوم نجدها في ميزاب بأبواب حديدية.

** الحاج سليمان بومريقة رئيس أمناء التوزوز سابقا، وضعت هذه الطريقة حديثا وذلك في الأربعينيات.

- إذا اتفق الشركاء للبستان فيما بينهم في التقسيم، يقسم على النخيل دون الأشجار.

- الثلث، وهو الحاجز الترابي بين البساتين ، إذا كان أحدهما عاليا عن الآخر فهذا الحاجز يكون ملكا للبستان العلوي، بحيث لو وجد بها السيل، يضمن هذا ما ينتج من الأضرار للأسفل، وإذا ما حدث وتساوى الطرفان فالثلث ملك بينهما.

- يجب على من له بستان مرتفع على حافة السيل أو الساقية، أن يبني حدا ارتفاعه ثلاثة أذرع، ويبني بعد ذلك جداره، وتعتبر ثلاثة أذرع الأولى منطقة محايدة لا يزرع فيها شيء، لأنه إذا تكونت في هذه المنطقة عروق تجذب المياه إليها، وبالتالي تنتفخ وتؤدي إلى انهيار الساقية.

- تقدر الكوة في عرضها على حسب عرض السيل وأسهمه.

- سقي الكوة للغابة يكون في الأصل بمقدار إشتراك صاحب الغابة في أول مراحل إنشاء السيل عند العمل ابتداء من اليوم الأول الذي عين لذلك إلى وصوله لدى أول بستان، كل حسب عمله، تقدر له الكوة قلة أو أكثر.

- يرجع وجود الكسور في الأسهم إلى بيع أو شراء أو إرث بعض أجزاء الأسهم.

- في حالة وقوع اختلاف في أمور السيل من ناحية الغرب يرد الحكم إلى أمناء بوشمجان في الشرق، ذلك بخبرتهم الطويلة في الميدان[1] .

بفضل هذا النظام البديع انبثقت من الأرض الجرداء القاحلة واحات غناء تقف شاهدا حيا إلى يومنا على عظمة الإنسان وقدرته على التحدي ومواجهة الطبيعة، فأصبح لكل ميزابي نخلة أو أكثر يهتم بها فتنفعه.

---

1 - بومريقة، تفصيل، ص 29.

الفصل الثاني
زراعة النخيل بوادي ميزاب

ا - زراعة النخيل بوادي ميزاب

حسب الشيخ إمتياز ابراهيم فإن زراعة النخيل بوادي ميزاب لم تكن أيام المعتزلة بل في عهد بني بادين، بل يرى أن ذلك تم بعد نزوح سكان أربغ ومن نزح من إدراتن من أولاد أبي اسماعيل من ورجلان، فغرس هؤلاء بين الوديان النخيل.

لعل أول مكان غرس فيه النخيل بميزاب هو بونورة في أوائل القرن السابع الهجري [1] فعملية غرس النخيل ليست بالسهلة، إذ أن هناك طرقا ووسائل دقيقة في بعض الحالات يلجأ إليها الفلاح عند غرسه للنخيل، خاصة فيما يتعلق بإعادة غرس نخلة صغيرة من النخلة الأم، حتى أنّ عملية السقي تبين لنا مدى تفنن الفلاح فيها للحصول على النخيل وبالتالي تمور ذات نوعية جيدة.

فما هي الطريقة أو الكيفية المتبعة لسقي النخيل؟

2 – **السقي:** يُعدُ نخيل "فونيك دو كيليليفرة" Phoenix Ductylifera من أنواع النخيل الوحيد الذي يُغرس في كل الواحات الصحراوية، وجوده يرجع إلى عدة قرون بصل طوله إلى حوالي عشرين مترا، أمّا عرضه فلا يتعدى الخمسين سنتيم، هذا النوع من التمور يحتاج لحرارة قوية وكثرة السقي لتحافظ العروق على الرطوبة.

1- إمتياز ابراهيم، كتب في بعض التواريخ، غرداية 1972، ص 2.

يتفق معه الشيخ الحاج داود التومي أمين العرش وتقسيم المياه بغرداية حسب ما قاله لنا في حوار أجريناه معه بغرداية يوم 1998/06/24.

نخلة المياه في ميزاب تتم عملية السقي بواسطة الآبار، علما أن أرضية الشبكة تحتوي على طبقة مائية باطنية، غير أن آبار ميزاب تبقى تُسقى بمياه الأمطار وسيلان الوادي.

تتم عملية السقي بواسطة الجلب بدلو يُصب في حوض ومنها تُسقى الأشجار عبر قنوات صغيرة، وعند أسفل كل نخلة تظهر التربة محفورة على شكل حوض بحوالي 1,50 م في القطر و 0,30 م إلى 0,40 م في العمق، حُفرت التربة لاستقبال مياه السواقي التي تُزود العروق أي عروق النخلة لمدة ساعات قبل التسرب لباطن التربة.

هناك أنواع من النخيل لم تعرف أبدا السقي عن طريق مياه الآبار هذا النوع (البور) نراه مثلا في قرارة، فجذع النخلة نجده محاط بحوض ولكن عن طريق كثيب صغير من الأرض، هذا الوضع من مميزاته أنه يحفظ قاعدة النخلة من المياه الجارية والتي تبقى في بعض الأحيان مدة أشهر في الواحة، لعل هذا ما يكشف جذر النخلة ويعرضها للخطر.

هنا يجب أن نشير أنّ النخيل لا يتطلب نفس كمية المياه للسقي فتمار "أزرزا" Azerza و"تادلا" Taddala، "أوشي" Aouchet تستطيع الاستغناء عن المياه على عكس تمار أخرى لا يمكنها أن تعيش في وسط يفتقد للمياه، ك "دقلة نور"، "الغرس"، "باباتي" Babati، "بنت قوبالة" Bent-guebala يجب أن توجد بأماكن ذات رطوبة معتبرة.

والسقي يختلف حسب عُمر النخلة والتربة وخاصة حسب الفصل، ففي الشتاء يُمكن للفلاح أن يسقي نخيله مرّة في الأسبوع، أمّا في كل من فصلي الربيع والخريف نسقي مرّة كل أربعة أيام، غير أنه في فصل الصيف يجب أن تُسقى قاعدة النخلة كل يومين ومن الأحسن كل يوم، فالنخلة التي تسقى جيدا في فصل الصيف حتما ستعطي تمارا جيدة، أمّا إن حدث أن تعرف فصل جاف فالنخلة في هذه الحالة لا تعاني كثيرا من الجفاف لكن لا تثمر.

ومن نتائج السقي في فصل الشتاء فهو تحسين داخل النخلة أي قلبها وبالتالي ستعطي ثمارا من النوع الجيد [1].

من التقنيات التي تُستعمل في سقي النخيل، أنّه بعد خمسة عشرة أو عشرين يوما من عملية التلقيح من المستحسن عدم السقي يوميا، لكن لا بد أن تتم العملية باعتدال، كما أنّه بحوالي ثلاثة أسابيع قبل جني التمار وبالتحديد في الخامس عشر من سبتمبر يجب أن لا نسقي النخيل، لأنّ التمر إذا سُقي في هذه الفترة فإنه يصبح لزج ويتعفن بسهولة.

وللإشارة أنّ النخلة تحتاج إلى حوالي مائة وخمسين لتر إلى مائتي لتر من الماء يوميا، والبئر العادي يستطيع أن يسقي من خمسة وأربعين إلى خمسين نخلة فقط [2].

1- Capitaine Gouvet, Culture du Palmier dans le Sud Algérien, Bulletin du Comité de l'Afrique Française n°7, novembre 1902, p 137.

2- Charlet (L.T), Les Palmiers du M'Zab, Bulletin de la Société de Géographie d'Alger, 1905, p32.

3 - الغرس:

هناك طريقتان لغرس النخيل، طريقة البذر وطريقة الغرس (غصن أو جزء من غصن يُفصل عن النبات ويغرس)، البذور يمكن بذرها في أي فصل ولا تتطلب عملية الزرع إلا حفر التربة ووضع نواة التمر، ومن المستحسن أن تكون التربة ذات عُمق معتدل وكذلك الحال بالنسبة للرطوبة، يُشترط أن توضع النواة عموديا، الطرف السميك يوجه للأسفل نحو القبلة لتبقى النواة تحت الأرض شهراً كاملا، بعدها تتكون البذرة تعطي عرق النخلة والجذع على شكل وريقة خضراء تتعدد كل من الوريقة والجذع بالتوازن ثم تتضاعف فنجد أولى الوريقات تتجه نحو الأعلى بالمناوبة من كل جهة بعرق متوسط تشكلان (الوريقة والجذع) أولى سعفة النخيل، العروق الأولى تنغرس أكثر في الأرض عموديا من خمسين إلى ستين سنتيم تكون ربطة رقيقة من الألياف البيضاء وبأولى السعفات تتقرب مع العروق التي تنفتح تدريجيا في الأرض.

كلما كبرت النخلة، يظهر التناسق أكثر مع الباقة والسعفة والألياف والجذور، وهي في نفس المستوى من الطول ومن نفس المصدر، وهذه الطريقة للزرع في ميزاب ليست معممة رغم نتائجها الإيجابية علما أن النتائج لا تظهر إلاّ بعد عشر سنوات وبالعناية الكبيرة، في نظرنا ربما عدم التعرض لهذه الطريقة يرجع إلى طول فترة نموها، لكن يبقى من الصعب تحديد نوعية التمار والأمر كذلك بالنسبة للجنس إذ لا يظهر إلاّ بعد خمس أو ست سنوات وهي من أهم سلبيات الزرع عن طريق البذور [1].

1- نفسه، ص 52.

لأهمية زراعة النخيل في ميزاب نجد الشيخ اطفيش قد حددّ أوقات خاصة لغرس النخلة بدءا من أول يونيه حتى آخره، الفلاح الذي يغرسها في هذا الشهر يسقيها لمدة أربعين يوما، وإن إستطاع أن يحميها من شدة الحرارة، حتما ستعطي تمارا جيدة وكثيرة كما أنها تنضج مبكرا.

عملية الغرس تتم في الصباح، وغرس التمر يكون بذات الحجم الوسط، أجاز غرسها في شهر مارس، وأكد على ضرورة ترك مسافة بين نخلة وأخرى، تغطى بالغبار من أربع جهات لمدة أربع سنوات كل سنة تُغطى من جهة، يجب أن تُسقى بكثرة وفي فصل الربيع تُنقح ليتولد من كل عرق عروق جديدة، والعملية يمكن أن تتم في كل من فصلي الربيع والصيف بكثرة كما يجوز أن تحدث في فصل الخريف والأمر يختلف في فصل الشتاء من هنا تكبر التمرة وتصغر النواة والنخلة الكبيرة تنضج قبل النخلة الصغيرة، على عكس العراجين الكبيرة فلا تنضج بسرعة لذا يجب قطعها قليلا ولو كان عرجونا واحدا في النخلة، حتى تصبح العراجين صغيرة فلا تضر النخلة.

بين اطفيش موقع النخلة عند غرسها، إذ يجب توجيهها نحو الشمال لتقابلها الشمس وينبغي أن يكون مجرى الماء وطرق الساقية أعلى عن الحوض [1].

---

1 - قطب الأئمة الشيخ اطفيش، كتاب النحلة في غرس النخلة، غرداية، (د.ت)، ص 44.

هناك بعض الطقوس يستعملها الفلاح الميزابي في ميدان زراعة النخيل، فمثلا حين يريد الفلاح الحصول على نخيل معين يكفي أن يجعل في باطن الأرض عدة تمرات تغطى بقطعة قماش ويقول :"إذا غرسنا ألف نواة من نفس النخيل نحصل على ألف نخلة مختلفة".

- إن غرسنا في باطن الأرض عدة تمرات من نفس النوع، يمكن أن نحصل على نخلة شبيهة للتمرات المغروسة .

- إن غرسنا النواة في بول بغل، فالنخلة تكون من جنس ذكر.

- إذا غطست في الماء لمدة ثمانية أيام فإن النخلة تعطي تمارا من النوع الأحمر.

- إن أخذنا نواتين، تغطس ثلاث مرات متتالية في بول ثور، تترك لتجف في الشمس فمن نتائجها تضاعف الإنتاج.

- إذا وضعت في الأرض ثمرة من النوع الأحمر، وفيها نضع نواة من النوع الأصفر تلد نخلة ذات تمار حمراء، وبالعكس من النواة الحمراء المغروسة في التمرة الصفراء تلد نخلة صفراء.

ومهما كانت الحيل والمهارات التي لجأ إليها الفلاح الميزابي، إن كانت صادقة أو غير صحيحة يبقى أن تنوع التمور في ميزاب وليدة الصدفة وذلك عن طريق تساقط التمار .

الطريقة الثانية تتمثل في غرس النخيل، وهو غالبا ما يستعمل في ميزاب، فحسب الميزابي للنخلة خاصية تنفرد بها، فكل نخلة سليمة وصحيحة من ثلاثة إلى عشرين سنة تولد عند قاعدتها مجموعة خلف وكأنها تكون إكليلا من الورق الأخضر، وكل شرية تكون نفس التكوين للجذع، تعطي نفس التمار للنخلة، عندما نريد إحداث نخلة من جديد نستعمل الخلف وهو نوعان، نوع يولد من جهة النخلة التي لها علاقة بالأرض له عروق خاصة به، أما الآخر يولد في جذع النخلة بين سعفتين بمسافة معينة عن الأرض، لكنه لا يتغذى من النخلة الأم.

بصفة عامة جميع الفسيلات المستعملة في الغرس تختار قبل وبعد نقل النخلة وغرسها في مكان آخر، قبل أن تخلع الفسيلات عن النخلة الأم توضع على أرض ذات رطوبة يحفر تحت الفسيلة منحدر صغير على شكل مقعد مرتفع نوعا ما، لكي يغطى كليا، وهذا تعكيس حقيقي (جني الغصن ودفنه في التربة دون فصله عن أمه إلى أن يرش فيفصل عن أمه ويغرس، وذلك لتكثير النبات)، وإن وجد في تربة ذات رطوبة فإن الفسيلة لا تتأخر في دفع العروق، وبنموها يمكن نقلها وإعادة غرسها.

لغرس الفسيلة يجب أن نحفر حفرة عميقة وواسعة في مكان صالح للزراعة يستحسن أن تكون التربة خفيفة ورملية، علما أن التربة الطينية لا تصلح إطلاقا لزراعة النخيل، في هذه الحفرة نضع حجرين أو ثلاثة ليسهل جريان الماء أثناء السقي لنحصل على فسيلة من النوع الجيد ننزع لها السعف بالقطع في الأساس، ونترك سعفتين طويلتين في الوسط لحمايتها من التغيرات الحرارية، نخلص قاعدة الفسيلة من التربة المحيطة بها بمنجل بقطع العروق وتترك لها حوالي عشرين سنتيم من الطول وبالمقص نقطع مرة واحدة النخلة الصغيرة من جذع النخلة الأم [1].

إن هذه العملية تشبه إلى حد ما عملية الولادة لدى الإنسان ، هذا ما جعل الفلاح الميزابي يشبه النخلة بالإنسان أو بالأحرى بالمرأة، فقطع النخلة الصغيرة من أمها تشبه إلى حد كبير فصل الطفل عن أمه من الحبل السري.

1- Charlet (L.T), Les Palmiers, p 57.

مما لا شك فيه أن هذا العمل لا يقدم عليه إلا من كانت له خبرة بزراعة النخيل ودقة كبيرة في الفصل، فغرس الفسيلة تتم وسط طقوس ميزابية خاصة، ولأهمية الحدث تحضر عائلة المعني وأصحابه، فتنقل الفسيلة على ظهر حمار إن لم تكن ثقيلة جدا، أما إذا كانت ثقيلة يصل وزنها السبعين كيلوغرام، في هذه الحالة تحمل على أكتاف الرجال في موكب كبير، وعند وضع النخلة في المكان المخصص لها يختار شيخ معروف بصلاحه، أو طفل صغير يغني للنخلة قائلا لها :"تغرسك بإسم الله" داعيا لها بالرحمة والصلاح، ومن المستحسن إختيار طفل يدعى "محمد" يرمي فوق عروق النخلة الرمال، تغرس الفسيلة اتجاه القبلة، وتكون ملتوية قليلا عند غرسها ولسقيها نقوم بمشط قسم من الأغصان المركزية بكمية من التربة الصلصالية وفي اعتقاد الفلاح الميزابي أن هذه العملية تحمي قلب النخلة من الحرارة المرتفعة وفي الوقت نفسه تجبر النسغ بالوصول إلى عروقها لكن تبقى التربة الصلصالية حين وضعها في قمة النخلة مساعدة لها في النمو.

إذا ما غرست النخلة الجديدة في فصل الشتاء فلا بد من تغطيتها لحمايتها من التغيرات الحرارية، ولكي تقاوم برودة الشتاء المقبل.

من العادات الميزابية أنه عند غرس نخلة جديدة توضع عند الحفرة التي تحتوي النخلة قرنا كبش، ظنا منه أن النخلة حتما ستلد ثمارا كثيرة ومن النوعية الجيدة ولما تغرس النخلة الجديدة مبكرا قبل طلوع الشمس ستثمر مبكرا.

والنخلة الجديدة لا تنمو لمدة ثمانية عشرة شهرا، وقد تصل إلى عامين ، تسقى مرتين في اليوم بكميات قليلة، وكلما نمت نزودها بالمياه، ويبقى كل من شهر جوان جويلية أوت من أحسن الشهور للغرس، علما أن النخلة لا تنمو إلا إذا وجدت المحيط الملائم من ضوء وحرارة، لذا الفلاح الميزابي في فصل الشتاء يقوم بتغطية أسفل النخلة بطبقة من غبار الحيوانات لتدفئتها وتغذيتها.

4 - **التلقيح والجني**: يتوقف نمو النخلة حسب إعتناء الفلاح بها ، والإعتناء متعدد فلا يكفي أن نسقيها حسب الإحتياج ، وتزويد الأرض بالأسمدة اللازمة، بل يجب أن تقلب الأرض عدة مرات في السنة وتخلص جذع النخلة من السعف اليابس، فعند تكوين البرعم والأوراق الجديدة تسقط الأوراق القديمة.

في كل عام قبل وبعد جني التمار نلقم السعف اليابس الذي لم يسقط وكلما كانت النخلة صغيرة يجب قطعها بدقة وحذر.

لحماية النخلة من الرياح التي تؤدي إلى كسرها لجأ الفلاح الميزابي إلى طريقة ينفرد بها تتمثل أساسا في إحاطة جذع النخلة بأحجار كبيرة وبألواح صلبة تشد لجذع النخلة خاصة أن النخلة كثيرا ما يتعرض سعفها للكسر من جراء الرياح القوية.

إن النخلة الأكثر علوا في ميزاب تنتمي لفصيلة "تيمجو شوري" Timdjechouert وهي تتعدى العشرين مترا ، وكل نخلة تنبت عن طريق النواة أو الغرس، تبدأ في بعث الفسيلة عندما تعطي أولى ثمارها ، هنا يتدخل الفلاح في تخليصها من الفسيلات ليستغل في غرس نخلة جديدة، أما إن لم تنقل الفسيلات من النخلة الأم يمكن تركها،علما أن عملية القطع تترك دائما أثارا على جذع النخلة وإن تكررت عملية القطع في السنة الواحدة يمكن أن تهلك النخلة لذا نكتفي بخلع السعف المتواجد بقلب النخلة بمختلف الفسيلات، وبمرور الوقت يجف ويتوقف عن تلقي النسغ من النخلة الأم نقوم بخلعها كالأغصان الميتة.

لكي لا تصاب النخلة بجروح في أسفلها عند فصل الفسيلات منها يصنع الفلاح حول جذعها مقعدا من الحجر وهو ما نراه كثيرا في واحات ميزاب.

توجد طريقة طريفة في الشبكة لغرس نخلة جديدة خاصة إذا كانت ستهلك وأراد الفلاح الحفاظ على نوعيتها إذ يضع تحت موضع ظهور السعف إناء مصنوعا من الألياف يملأه بالتراب ويسقيه يوميا بعدها يلاحظ ظهور جذور بعد أشهر، يكفي أن نقسم الجذع تحت الجذور الجديدة ويوضع في التراب بكل حذر الغرسة لكي يحصل على نوع آخر.

بما أن النخلة تعتبر نبتة ثنائية المسكن (تكون أزهارها الأنثوية على نبتة أزهارها ذكرية) فعملية الإخصاب تكون إصطناعية، تأتي الأزهار مدرجة ثلاثة بثلاثة صغيرة على طول السيقان الرقيقة (الشرنقة) مجتمعة على شكل حنبلة تتكون حولها قنابة راقية تظهر الزهور السدادة الأولى عند النخلة الذكر، أما القنابة فتنفتح في نهاية شهر فيفري، لتظهر الزهرة الأولى في الجهة الجنوبية - الشرقية وهي الجهة المقابلة للشمس، أما الزهور المدقة لا تظهر في وقت مبكر وبانفتاح القنابة تصبح تسمى بالعرجون يجب إخصابه في الحين.

إن هذه العملية لا تحدد في ميزاب على فصل غبار الطلع من النخلة الذكر على النخلة الأنثى، لكن تعمل على إدخال في وسط كل صنف من زهرة المدقة شرنقة يجب أن تتم في وسط ساخن ودافئ تكرر هذه العملية في شهر فيفري، وهو الوقت الذي يصعد فيه النسغ بسرعة لتغذية النخلة، وبما أن الثروة الحيوانية بميزاب قليلة تبقى هذه العملية نادرة [1].

ولأهمية زراعة النخيل بميزاب حدد الشيخ اطفيش أياما يغرس فيها النخيل تعطى فيها تمارا جيدة ولا تصاب لا بالدود ولا بالسوس يمكن تحديدها فيما يلي:

- سبعة أيام من شهر نوفمبر وهي أيام (السادس، السادس عشر، السابع عشر الثامن عشر، الثاني والعشرون، الثامن والعشرون).
- اليوم الأول من شهر فبراير لا يغرس فيه النخل ويجوز الغرس بعد اليوم الأول.
- ثلاثة أيام من شهر ديسمبر (الخامس عشر، الثامن عشر، السابع والعشرون).
- أربعة أيام من شهر جانفي (الرابع عشر، السادس عشر، الثاني والعشرون الثامن والعشرون).
- ثلاثة أيام من شهر مارس يجب تجنب الغرس فيها وهي (الخامس عشر، السابع عشر، الخامس والعشرون) ويغرس في غيرها.
- اليوم الثاني والعشرين من شهر أفريل يصلح للغرس .

1- نفسه، ص 58-59.

- يغرس النخل في شهر نوفمبر في الأيام (الثاني، الثاني عشر، السادس عشر السابع عشر، الثاني والعشرون، السادس والعشرون، الثامن والعشرون) وإذ غرس في هذه الأيام المذكورة تماره تكثر ولا يصاب بالسوس .

- أما في شهر ديسمبر وبالتحديد في اليوم (الثامن عشر، الخامس والعشرون السابع والعشرون) الماء يكون معتدلا وبالتالي يصلح جدا للسقي.

- شهر مارس يغرس النخل ماعدا أيام (الخامس عشر، السابع عشر، الخامس والعشرون).

- في اليوم الأول من شهر جويلية وأوت وسبتمبر لا يغرس النخل، ويجوز غرسه في اليوم الثاني ولا يغرس في اليوم الثالث.

أشار اطفيش إلى موضع الغرس وأوقاته، كما أصرّ على تجنب الغرس عند جانب الحرث والحصى وأرض الحجر، وكذا الرمل كما أن الحصى تزيد برودتها في فصل الشتاء وترتفع حرارتها في فصل الربيع والصيف، ويتجنب الغرس في موضعٍ تكثر فيه الضفادع فهي تضُر الغرس لكثرة بُولِها، وهو ما يؤدي إلى تساقط تمارها قبل نضجها.

وتبقى المناطق المرتفعة عن الماء غير مستحبة للغرس لصعوبة الوصول إليها وسقيها وحتى شواطئ النهر والأودية لا يجب الغرس فيها [1].

---

1 - اطفيش، كتاب النحلة، ص 50-51 .

يقوم الفلاح قبل البدء في عملية الإخصاب، بتنظيف الزهرة من الرمال المتعلقة بها كذا الغبار والحشرات، ثم يصعد إلى النخلة.

علما أنّ النخلة الذكر بوسعها أن تخصب مائة نخلة أنثى، وعملية الخصب عن طريق غبار الطلع ليست ضرورية لأنّها يمكن أن تتم بواسطة الرياح والحشرات والفلاح يرى أن رائحة غبار الطلع تكفي للإخصاب، لكن هذا لا ينفي وضع الذكر في وسط النخلة الأنثى.

في ميزاب يُمنع إجراء الإخصاب يوم الخميس، لأن كلّ نخلة تخصب في هذا اليوم تُعطي تماراً مقسمة في الوسط، هذا ما يدفع الميزابي للجوء إلى بعض المهارات للتحسين من نوعية التمور، فغبار الطلع تضاف له قشرة بصل أو ثوم أو الحرمل وحتى المسك هذا ما يغذي أكثر النخلة.

يحدث في بعض المرّات أنّ النخيل بعد سنة كاملة من الرّاحة تُعطي أزهارا في شهر نيسان تنفتح قبل نخيل الذكر، وهنا لايستطيع إخصابها، ففي هذه الحالة يستعين الفلاح بغبار الطلع للسنة الماضية، لذا نجد أغلبية الميزابيين يخزنون غبار الطلع إذ يُحفظ في الظل والهواء والرطوبة بعيداً عن الحرارة التي تُحلله بسرعة.

من زهرات بعض النخيل ما تلزم أن تلقح مباشرة بعد تفتحها (أوشي، بنت قوبالة) على غير الأصناف التي يمكن أن تنتظر ثلاثة أو أربعة أيام.

تبقى التمور الملقحة حوالي ثلاثة أسابيع مربوطة، وبظهور التمور الجنينية يجب الصّعود للنخلة وفكّها، فهذه التمرات الخضراء الصغيرة نجدها مجتمعة ثلاثة – ثلاثة كالزهور مكونة عناقيد جد ملتصقة وبحلول شهر ماي يتضح لنا هل نجحت عملية التلقيح، حينها يسقط إثنان من ثلاثة بينما يأخذ الثالث في النمو بسرعة أمّا إن حدث العكس خاصة إذا تلقحت النخلة في ظروف سيئة فإن التمور لا تنمو ولا تنضج جيدا، فهذه الأخيرة إن أجهضت فلا تصلح إلاّ للحيوانات.

مع نهاية شهر ماي تأتي عملية الفراق والتي تتطلب الصعود للمرة الثانية للنخلة لتخليصها من عدد الكباسة، والنخلة المعروفة بإنتاجها الجيد لا يترك لها الفلاّح أكثر من تسعة كباسة، هذا إذا أراد أن يحصل على التمور في السنة المقبلة، علمًا بأن إنتاج النخلة للتمور بكميات كبيرة حتما سيتعبها لذا لا بد من تركها ترتاح ويستحسن أن يخلع الكباسة الموجودة بقلب النخلة ويترك المحيطة بها.

مع هذا الحذر يبقى أنّه غالبا ما نجد نخلة سليمة تُعطي تمارا كل سنة، وبصفة عامة حينما يحصل الفلاح على إثني عشرة كباسة، يخلصها من أربعة، فالعام القادم لا تلد أكثر من ستة، يترك لها أربعة للسنة الثالثة تلد أربعة عشرة وهكذا[1].

1- Hurlaux, La Culture des Palmiers dans l'Oasis du M'Zab, conférence du 3 fevrier 1909, Bulletin de la société de géographie d'Alger, pp 70-71.

5- طرق تخزين التمور:

للحفاظ على تمور طازجة وصحية أوجد الفلاح الميزابي طرقا لتخزينها، إذ أنّ هناك أنواعا من التمور تُخزن في أكياس مغلوقة تترك للشمس لمدة أسبوع أو أسبوعين منها "توجت" Touadjet أمّا التمور الأخرى كـ "دقلة نور"، "أكربوش" ، "بوأرور" "بنت نبالة"، "ايتيم" لا تخزن لكن تترك معلّقة عرجونا في البيوت، لتقدم للضيوف وتبقى التمور الأخرى تُخزن في أكياس مصنوعة من جلد الغنم والماعز (البطانة).

هناك أكثر من أربعين نوع من التمور المغروسة في ميزاب كـ "آمري"، "تادمامة" "تيموسة"، وهي من التمور المفضلة لنضجها مبكرا، أمّا "أكربوش"، "تيمبورسي" "الكسابة"، "أوشي"، "تيزيوين"، "أزرزا" لكثرة عطائها.

للإشارة أن التمور الممتازة التي تخزن هي "الغرس"، "تازيزوات"، "تيمحورت" "تادلى".

وكل التمور التي غُرست عن طريق الغرس تُعرف بالدقلة، وغالبا ما تكون قليلة الرائحة وأقل عسولة أمّا نواتها فهي كبيرة [1].

1- Charlet (L.T), Les Palmiers, p 82.

6- أمراض التمر وعلاجه

حسب الشيخ اطفيش فإن أول شجرة وُجدت على الأرض هي النخلة، وهي تشبه إلى حد كبير الإنسان من حيث الإستقامة والجنس (ذكر وأنثى) تموت بقطع رأسها، وإن أصاب جمازها آفة قُضي عليها، وهو بمثابة المخ عند الإنسان كما شبّه ليفها بشعر الإنسان.

وكالإنسان تصاب التمور بأمراض، منها الغم وعلاجه يكمن في قطع أسفل النخلة بمقدار ذراعين تُخلل بمسامير من حديد.

- تُصاب بالعشق، إذ نرى النخلة تميل إلى نخلة أخرى، فتصبح هزيلة ولعلاجها يجب شدها بمعشوقها بحبل، أو يقوم الفلاح بعلق سعفة النخلة على النخلة المربضة أو يجعل طلعها فيها.

- منع الحمل، وعلاجه يتمثل بطريقة قد تخيف النخلة، فتجعلها تحمل وتأتي بتمور جيّدة، تتمثل هذه الأخيرة في:

يأخذ الفلاح فأسا ويحدث صاحبا له أمام النخلة قائلا له: أريد أن أقطع هذه النخلة لأنها منعت الحمل هذا العام، لكن صاحبه يرد عليه أن لا يفعل ذلك لأنها حتما ستلد هذا العام، غير أنّ الفلاح يصر على قطعها، فيقوم بضربها ثلاثة ضربات بظهر الفأس فصاحبه يمسكه محاولا إبعاده عنها ناصحه بالصبر سنة واحدة فقط، فإن لم تلد هذه السنة في هذه الحال جاز له قطعها، هنا تثمر النخلة وتعطي تمورا جيدة ووفيرة.

- سقوط تمارها بعدها الحمل، وعلاجها يكون في أن تُتخذ لها منطقة من النحاس

نُطوق بها فلا تسقط بعدها وهناك طريقة أخرى تُعالج بها عن طريق خشب البلوط بُدفن حولها في الأرض.

- إذا قُطع عضو من النخلة لن ينبت أبدا، كما هو الحال بالنسبة للإنسان إذا بُتر منه عضو لا ينمو مرة أخرى [1].

من أمراض النخيل المنتشرة في ميزاب، وفي الواحات عامة هو أنّ النخلة تتوقف عن النمو، إذ كما رأينا سابقا حينما نلاحظ في نخلة كثرة الكباسة، فلا بد لها من الراحة في العام المقبل، هذا المرض يجعل سعف النخلة يجف وبالتالي يسقط فلا تنمو، ولمعالجة هذا الداء لابد من سحب جوانب السعف لإبعادها عن جذع النخلة وإدخال الرّمل أو الجير بين الزنّيد، ومن وقت لآخر يجب قطع الألياف التي تحاصرها هذا من أجل إخراج قلب النخلة (طريقة معروفة في ميزاب).

للإشارة أنّ هذا المرض قد يحدث إذا ما سقيت النخلة أكثر أو أقل مما يلزمها وتحتاج، وفي هذه الحالة فالدواء سهل، يتمثل أساسا في سقيها بالكمية الضرورية لا أكثر ولا أقل.

---

1 - اطفيش، كتاب النحلة، ص 47-48.

- السوس من الأمراض التي تعاني منها النخلة نجده بين السويقات يعمل على فرض السعف وبالتالي تنمو الكباسة معوجة وتُعطي تمورا ذات نوعية رديئة، لمعالجة هذا الداء يقوم الفلاح برش النخلة يوميا بالمياه الدافئة أو المالحة، أو يدخل التربة الجامدة في الشتاء بين سعف النخلة والماء القليل، وغالبا مايؤدي هذا المرض إلى تعفن قلب النخلة.

- الجرب من الأمراض التي تعاني منها النخلة، وتؤثر على تمورها فنجد النخلة مغطاة بغبار رمادي، ومع الوقت وبمرور الزمن يصل حتى إلى الكباسة نفسها، يعرف هذا المرض بـ " بومـلال" وهو صعب الشفاء يحاربه الفلاح بسقي النخلة بالمياه الجيرية، وفي بعض الأحيان يلجأ إلى قطع كل النخيل، ومما لاشك فيه أن هذا الداء غالبا مانصادفه في الأراضي التي تحتوي على ملح البارود [1] .

1- Charlet (L.T), Les Palmiers, p 73.

7- فوائد النخلة :

للنخلة دور إقتصادي، فهي كونها مصدرا للتغذية، إلا أنها تعتبر نقودا للمبادلات نهي شجرة حياة الصحراء حتى أن النخلة وتمورها جسدت على النقود، كما كان الحال بالنسبة للنقود قرطاج [1] .

يعتبر الأهالي التمور من الأغذية الأساسية، ومن فوائده ما يلي:

- يحد من الجوع لمدة يوم كامل، من نواته تأكل الحيوانات، حيث أنه في سنوات الجفاف تستغل نواته في تجهيز الخبز (النوع الرديئ).

- من النواة يصنع الكحول، فهي إلى جانب زينته يعد دواء لأمراض العيون.

- تؤكل تموره وهي جافة (خاصة المسافر).

- يعالج الصداع والروماتيزم.

- يقوي الباءة.

- يخلط التمر بالأرز ويقدم على شكل حصيد للمسنين يساعدهم على استرجاع قوتهم.

- يستعمل جذع النخيل في صناعة الأبواب والنوافذ، وتبين أن الصناعات المستعمل فيها جذع النخيل هي من النوع الجيد والممتاز، لعل هذا ما يظهر جليا في أبواب كل من مسجد بونورة ومليكة.

1- Hurlaux, Les Territoires du Sud Agricoles et Economiques, Bulletin de Liaison n° 43, septembre 1961, p 316.

- في شهر رمضان يفطر كل ميزابي غنيا كان أو فقيرا على حبات تمر قبل الصلاة .

- لفوائد التمر حث الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين على إطعام الطفل الصبي بحبات تمر طازجة فهو يساعده على النوم .

- يساعد على تليين الطباع، ويهدئ الأعصاب، والطفل الرضيع الذي يصاب بالأرق تعطى له نصف تمرة في شكل مصاصة فيهدأ وينام .

- التمر دواء للنفساء .

يبقى النخيل من أصل شريف ونبيل وهو الشاهد على مولد سيدنا عيسى عليه السلام وقد ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام أن التمر هو الفاكهة الوحيدة التي تحافظ على ذوقها في الجنة كما في الأرض.

هكذا نرى أن الميزابي سعى لإحياء منطقة تكاد الحياة تنعدم فيها، إذ أصبحت واحات ميزاب من أجمل الواحات، وجلبت إليها أجود أنواع النخيل حين يسمع الميزابي عن نوع جديد من النخيل في مكان ما إلا وسافر إليه فينقل فسيلة منه إلى منطقته، حيث نجد أربعين نوعا من أجود التمور تبقى صالحة بعد تخزينها لمدة عشرين سنة وهي من أهم المواد الزراعية خاصة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحبذ التمر عن الفواكه الأخرى، وبما أن المجتمع الميزابي مجتمع محافظ ومتمسك بالدين والعقيدة ، ولإرتباط النخلة بالأنبياء والرسل نجد الميزابي يهتم بزراعة النخيل كثيرا.

حثت كتب السير على الزراعة ورغبت في امتلاك الأجنة وعدم بيعها ، فنرى "الويساني" * يقول عن النخيل أخذا عن أبي عبد الله :"بائع النخيل ممحق ومشتريها معان" وقال :"حب النخيل من الإيمان وبغضها من النفاق" [1].

ومما لا شك فيه أنه إلى جانب زراعة النخيل في ميزاب نجد أشجار الفواكه المتنوعة، والقمح والشعير والفول وغيرها من المزروعات، فالميزابي يعتزّ بالفلاحة فإلى يومنا هذا لا زال بعد رجوعه من متجره في الشمال وفي شهور عطلته يعكف على الفلاحة في بستانه، فكل أسرة لها بستان خارج المدينة يغرس بكل تفان وذوق ومحاط ببيت شبه ريفي [2].

---

* الويساني من الطبقة الثانية (400-450) هـ من مشايخ كنومة بالجنوب التونسي، له الفضل في إقامة نظام العزابة مع عبد الله.

1- عز الدين أحمد موسى ، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق ، الطبعة الأولى،بيروت ، 1983، ص 160 .

2- دبور ، النهضة، ص، 178.

الخاتمة

من خلال دراستنا لتاريخ التنظيمات الدينية والإجتماعية الميزابية في العصر الوسيط (من القرن الخامس الهجري إلى القرن السابع الهجري) تبين لنا أن الدولة الرستمية بعد سقوطها حاولت أن تحافظ على المذهب الإباضي حيث لجأ أتباع المذهب إلى منطقة ميزاب رغم بعدها وانعزالها وصعوبة طبيعتها، والظاهر أن اختيار ميزاب لم يكن من باب الصدفة بل جاء بعد دراسة أوضاع المنطقة كما شرحنا ذلك في الرسالة، وبالتالي إعتبر وادي ميزاب المكان الأفضل للحفاظ على المذهب الإباضي وجمع شملهم خاصة أنهم تفرقوا في كل من أنحاء المشرق والمغرب وإفريقية.

وبالفعل إستطاعت الجماعات الإباضية في ميزاب أن تجتمع وتتماسك فيما بينها وتحافظ على العقيدة والمذهب الإباضي إلى يومنال هذا.

ولعل ذلك راجع إلى نظام العزابة التي اعتمدته وطبقته على أحسن وجه إنطلاقا من سياسة التنظيمات الإجتماعية والدينية التي وضعتها منظمة العزابة شيوخا وعلماء، وهذه السياسة تنطلق في أسسها وجوهرها من : إصلاح المجتمع، تربية النشئ، غرس مبادئ المحبة والتعاون بين أفراد المجتمع، مراعاة مصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد، وهذا ما ظهر جليا عند تأسيس المدن الميزابية التي بينت مدى التناسق والتماسك بين الميزابيين.

كما استطاع الميزابي أن يحيي الشبكة رغم طبيعتها الصخرية وذلك بحفر الآبار واستحداث السواقي ونظام الري، فانتعشت الزراعة، خاصة زراعة النخيل التي لم تعرفها المنطقة حتى لجأ الإباضيون إليها، وغرست أول نخلة في قصر بونورة، فاستعملت التقنيات والمهارات التي أبدع وتفنن فيها الفلاح الميزابي فأضحت تمور المنطقة من أجود التمور وبأنواع كثيرة وصلت حسب الدراسات الحديثة إلى حوالي ثلاثمائة وستين نوعا.

من خلال دراستنا للمنطقة تبين لنا أن قصور ميزاب وحضارته كان من باب التحدي ونابع من سياسة الإنعزال والإنفصال والإبتعاد عن الصراعات المذهبية والسياسية سيما بعد ظهور الفاطميين والحماديين والزيريين.

ومع هذا تبقى هذه الدراسة المتواضعة لا تغطي كل ما عرفه ميزاب من تطورات إجتماعية دينية واقتصادية عبر العصور.

ومن الجدير بالذكر والإهتمام أن هناك موضوعات كثيرة إقتربنا من البحث فيها وتركناها لباحثين آخرين، وهذه المواضيع الجديرة بالمتابعة والدراسة الجامعية المستقبلية :

حسب احتكاكنا بالمجتمع وبالبحوث والدراسات هي:

- نظم التشريعات المؤسسة للتنظيم الإجتماعي والديني.
- مكانتة العزابة ودورها في تنظيم المجتمع.
- علاقة المجتمع الميزابي الإباضي بغيره من القبائل والطوائف الغير الإباضي.
- خضوع المرأة لهذا التنظيم، والمرأة في هذا التنظيم المحكم، التنظيم الصارم

يحتاج - في رأينا- إلى دراسة مستقلة وشجاعة.

تبين لنا من خلال دراستنا للموضوع، أن غير الميزابيين الإباضية من سكان وادي ميزاب، موضوع يحتاج إلى أكثر من دراسة، سيما في مجال العلاقات الإجتماعية والإقتصادية بين مختلف القبائل.

هذه هي مجمل الموضوعات التي إرتأينا أنها في أمس الحاجة إلى الدراسة والتحليل مستقبلا، ولقد تركناها وليس من باب الإهمال إلى باحثين آخرين يستكملون المشوار.

من بسطة التي هي غربة الحيسوب المعروف
بالغلماك، وعمرت يسجن ايضا من ورغلى
: عجل : واما غار داية فسميت باسم الغار
وهو كهف في الجبل واسم امراة نزلت به وهو
معروف الى الان في اعلا الجبيل الذي بنيت
عليه هذه الغربة وايضا داية اسم الغراب
ويقال ابن داية ولعل غرابا ينزل عليه فاخبث
اليه وكان اهلها في جبل بابه المعد انتقلوا
اليه خوفا من جار نزل بهم ولما ايس منهم
ورجع رجعوا الى موضع غار داية يقوم قالوا
اول من نزل في واد يها الشيخ بابه عيسى
العلواني وياتي ان شاء الله الكلام في نسبه
حتى انه كان مكتوبا له جميع اراض غار داية
من بابه حالح الى كداو ومن كداو الى كذا
: عجل : واما مليكة فغربة على جبيل
وكانوا اسفل عند المسجد الذي على
الواد، فوق البنيان المعد لعب الجلم ثم انتقلوا

الى حيثهم اليوم وسميت باسم المراة تسمى
مليكة : عجل : واما نورة فغربة ازمتحلتان
عمرتا جميعا في زمان واحد على جبيل منقطع
وحده كجبيل غار داية اخلا اهل السبعة مع
بعض العرب بل بعض الشعانبة وبعض اهل
الغرى بل اهل يسجن الغربة العليا وتنسب
لبني مظهر ولهم في كرم الغرب بعضهم انتقل
الى مليكة وبعض الى الغرب وحين كانوا
يبنون اولها مراعراب في الواد، وناحية
خاله عامر آياخاله عامر وكان بلغني ان يقولوا
ويكسروا كان امرها لك قتلوه تعمروا لو
كانت يا خاله في ندايه اسما مضافا اليه وياء
اسم فاعل خلا بك لما من لام الكلمة وسميت
باسم امراة تبيع النورة وهي المغرة في عرف
بعض اوالجبير والاول يشمل وجها اخر
هو ان اهلها تملك المغرة بالنسبة الى الملك
وفي بعض التقاييد ان اولاد اب عنازهم بنو اطهر

المتخر ليسر كتفي العرش أو المشيرة ، على أمور الشيخ وجيشهم مع بعضهم .

٩) أو نفي قطب من الأقطاب أو نفي عالم من أهل المسجد . فذلك ينفى الى أحد القصور ، حتى يجتمع عليه أهل الرأي ويروا فيه رأيهم .

١٠) وأما السارق والباغي وقاطع الطريق فحتى تتفق عليه جملة القصور وتسبب ذلك .

١١) ظهر في أهل مليكة لصوص من أهل بلدهم من بعض العشائر فطلبوا من قصور وادي ميزاب المشورة فاتفقوا على ما ذكر من قبل .

وذلك بمحضر الشيخ الحاج عبد العزيز بن صالح بن حمو ويهون بن أحمد وعيسى بن أحمد . وعمنا الحاج محمد بن سيدي عيسى .

وقع ذلك في أواخر ربيع الثاني سنة 1197هـ . الموافق لـ 23فبراير - 5 مارس سنة 1783م .

نقله القاضي الحاج أحمد بن داود (معيز) . سنة 1322هـ . الموافق لـ : 1904م .

اتفاق المجلس في ضريح أبي مهدي عيسى بن اسماعيل
(سنة 1199هـ/1785م)

اجتمع عزابة خمسة قصور وادي ميزاب واتفقوا على

١) من رفع الحديد (السلاح الأبيض) أو أشار به ولم يضرب بل شال أيديه ومنع فغرامته خمسون ريالا .

٢) وان ضرب به فغرامته مائة ريال . والقصاص والنفي

٣) وان وجب الانصاف على أحد . وذهب اليه المتقادم ليأخذوا منه الواجب . وعجز عن الدفع . يأخذوا ما وجدوا من أثاث في داره ويبيعوا منه المبلغ الواجب عليه

٤) وان قال أحد اتركوه حتى يدفع الثمن فلا يقبل كلامه الا اذا قال أحدا اتركوه وأنا أدفع المبلغ عنه ، فانه يترك ويؤخذ المبلغ من المتكلم عليه .

٥) وان لم يدفع يخرج من البلد ، ولا يرجع اليها حتى يدفع الثمن اللازم .

٦) ومن وقف عليه المتقادم فنهرهم وسبهم أو عصا أمرهم فعليه غرامة خمسة وعشرين ريالا .

٧) ومن بعثوا له مرسلا أو وصيف العرش أو غيره وجسر على المرسول أو ضربه أو عصاه فغرامته سبع

الملحق الثالث: إصـــلاحـــات

مجـــلس العـــزابة

بشـــأن الأعـــراس
المـــعلنة
في عيد الفطر المبارك
موافق 6 ماي
1989-1409

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نظرا لما لا يزال في الوسط النسوي من مباهاة ومحاكاة في التحلي بالذهب في الأعراس
به مستعار.

ونظرا لما تلاقى الامهات من عنت في جمع قطع الذهب. ماكان سببا في حدوث مشاكل
ي، وخسائر، وظنون، واتهامات، ناشئة من نقله من مكان إلى مكان، وكثرة الوسائط فيه.

ونظرا للازمة الاقتصادية القائمة في العالم كله. والنهي الشديد الذي ورد في الكتاب
ة عن الاسراف والتبذير.

ونظرا لما يعانيه الفقير من تكاليف باهضة في عرسه أغلبها كمالية تلجئه للاستدانة
نه هم الليل وذل النهار.

ظرا لوجوب توفير الوقت الثمين للنساء، حيث عظمت شكواهن من كثرة خروجهن
راس، فضاعت واجباتهن المنزلية وانصرافهن عن رعاية أهليهن نظرا لما تقدم من
ارات وجيهة قرر مجلس العزابة مايلي من القرارت.

القرارات

أ: منع ماكان السبب في استعارة الذهب والتحلى به في الأعراس وهو اتخـاذ مايسمى
كمبوشت» و « تخلوفت» في الأيام التي تتخذ فيها من العرس، وهي يوم آصباح. ويوم
أيام في وقت (آشلا) والمنع يشمل آل العريس، وآل العروس على السواء ليس الجمال
، تزيننا .
الجمال جمال العلم والأدب.
انيا: منع توزيع الكاوكاو والحناء على الحاضرات من النساء يوم تتويج العريس في داره
ثلاثة أيام.
الثا: منع تفريش غرفة العريس في غير يوم التتويج، فلا يسمح بذلك لا قبله ولا بعد،
يزيد عدد القائمات بعملية التفريش عن سبع نسوة أما غداؤهن فيكون (يومها) في دار
س ولا غير.
ابعا: قد تقرر بصفة جازمة تقديم حفل ثلاثة أيام إلى يوم الاصباح، وفيه تأتي الشابات
ب العروس لمؤانستها ولا يزيد عددهن عن عشرة ،وهناك يتغدين وبعده يعدن مشكورات
بهن إلى منازلهن ولا يسمح لاحداهم بالبقاء.
ي المساء (عشية نفس اليوم) يقام حفل ثلاثة أيام، حيث يلتقى آل العروس مع آل
س للتعارف. كما تقرر أيضا تقديم حفل سبعة أيام- لليوم الثاني من العرس. وهو الذي
ي:
نجربيت» وفي المساء (عشية نفس اليوم) يقام حفل سبعة أيام ويكمل التعارف بين
ثلثين المتصاهرتين. وبهذا التقديم في اليومين منه- بتكاليفه المعتادة فيه من غداء
ي وكاوكاو وفاكهة، وكلها زوائد و إسراف في المال وضياع في الوقت وتعب في الفكر
دن.
رجاء من الجمهور الواعى. بذل الجهد المخلص في تأييد ونشر هذه القرارات البناءة التى
نها الظروف ويباركها الله إذ لم تكن إلا رحمة بالضعيف، وتوفيرا للوقت الثمين
منين.
ريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله. عليه توكلت واليه أنيب والحمد الله
العالمين.

الملحق الرابع:

لائحة

أنظمة الأعراس والمآتم

الصادرة

عن حلقة الغرابة

لبلدة غرداية

في ٧ ـ جمادى الأولى وفي ٩ ـ فيفري

١٤٠٤ ـ ١٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ما يتعلق بالأعراس

القرارات

غ صداق البكر 6000.00 ستة آلاف دينار جزائري نقدا
غ صداق الثيب 3000.00 ثلاثة آلاف دينار جزائري نقدا.
ملاك - أقاول - يجب الإقتصار فيه على ما قد حدّد سابقا ولا يتع
يادة
زل - يبلغه شخص واحد رجل أو امرأة من غير أن يقع اجتم
ساء في دار العريس لخروجه، ومن غير أن يقع اجتماع النساء
العروس لاستقباله.
فلة - الله اكبر - للنساء وقتها الرسمي من الآن فصاعدًا يكون
س في الصباح ويستحسن في نفس العشية أن تسبق البنات
زا تبخف - حتى لا يخرج النساء من منازلهن في هذه المنا
مرة واحدة - سواء المنشدات والحاضرات وهذا أرفق من إلـ
دى الحفلتين إلغاءً.
ريش غرفة العروس لا يكون إلا مرة واحدة. إما في الليل فقط و
النهار فقط. وهذا أيضا تفاديا من الإكثار من خروج النساء.
نا بالفقير وشفقة على الضعيف وتجنبا للمباهاة التي لا يرضى بها
ن يكون تجهيز غرفة العروس كما يلي: سرير ومطرح صوف واح
زانة، كرسي، مرآة واحدة، فراش للأرض وعلى المطرح فر

بسم الله الرحمن الرحيم وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد الهادي بإذن ربه إلى صراط مستقيم

وفاء بما تعهدت به حلقة الغرابة يوم قيامها من السهر على إصلاح عوائدنا و تقاليدنا نعلن الليلة من يوم الخميس ٧. جمادى الأولى ٩. فيفري سنة ١٨٨٤ ما استقرت عليه المداولات من قرارات بنادة و توصيات هامة ، بعد تدعيمها و تطعيمها بآراء من له الخبرة والنظر الصائب من وجهاء الأمة ووجيهاتها.

والذى دعا الحلقة إلى تجديد النظر فى العوائد هو جعلها مواكبة للتطور الذى عرفته القرى فى القطر. وكان لمدينة غرداية منه الحظ الأوفر ويتلخص ذلك فيما يلى :

أ — إرتفاع عدد سكانها بكثرة النازحين إليها. وتوفر أسباب الإستقرار بها لبنيها

ب — إتساع رقعة البلدة تبعا لذلك ، وبُعد الأحياء عن بعضها.

ج — إنقسام خلايا الأسر. لتيسُّر الإمكانيات من جهة وتعسر احتمال العشرة أفرادها من جهة.

د — تواتر الزيارات وتنوعها. بمقتضى تبادلها.

هذه العوامل مجتمعة عرضت المرأة للتبذل. والمال للسرف والوقت للضياع.

— فحفاظا على شرف المرأة المسلمة وكرامتها عماد السعادة دنيا وأخرى ...

— واقتصادا فى المال الذى نهى الله عن إضاعته وتبذيره ...

— وصرفا للوقت الثمين عما لا يجدى - إلى ما يجدى ...

وضعنا هذه اللائحة التاريخية لصالح الأجيال الحاضرة والآتية ... فمن رعاها كبّر رعايتها. فقد أوفى بما عاهد عليه الله. ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه عظيما. ؟

عن الحلقة رئيسها:

طاء ان ، ولا يكون في حافته المتدلية - أيدر آنو نشان - سوى زربية
لعادي بإذن ربطة أو حنبل واحد وتجب أن يكون إزار السقف والستائر من
ي البسيط لا من الأقمشة الرفيعة . ونرغب في أن تعوض الجريدة
نابل الجدران بما هو أقل كلفة و أرخص ثمنا .
على إصلاح عوائدني يوم - أبيقي - الغاء كليا .
- فيفري سنة ... الحناء يابسة في اليوم الأول من العرس الذي هو يوم تتويج - إلباس -
ة ، بعد قد عرس
ووجيها تها . نظرا لكثرة الأعراس وحفاظا على الوقت الثمين وشفقة على من يقوم بها
التطور الذي عرفته العزابة ولجنة الفن فإن العرس يكون من الآن فصاعدًا ليلة واحدة
ن ذلك فيما يلي حفلة المشتملة على المدائح والأناشيد تعقد في الدار أو في الحجبة حسب
ستقرار بها البشيبة صاحب العرس وظروفه . أو في المدرسة إذا كثر عددهم و
البوا ذلك .
حتمال العشرة العرس للنساء ثلاثة أيام ، يوم واحد قبل العرس ويوم الإصباح
اليوم الذي بعده .
تحقيقا الإختصار في أيام العرس قد قرران الاشياء التي يعطيها
ت للضياع . عريس لعروسه من ملابس وغيرها في ثلاثة أيام - وفي سبعة
أخرى ... ام تجمع كلها و يعطيها مجملة في الليلة الثانية وهذا حتى لا تجد
... نساء مستندا للبقاء في دار العريس ، ولا حجة للخروج من منازلهن للعرس ،
يارة بابا والجمه - لمن يرى لزومها - يكون يوم الإصباح
ة ... فمن رعاه كبّ أفيخف - يقع زوال يوم الإصباح بعد الغداء إلا إذا اقتضت
ه الله فسنوتيه ضرورة فيؤجل إلى الليل أو إلى الغد . ويضحي وزير أو وزيران
قط لمصاحبة العريس أما الباقي فمأذون لهم بالإنصراف إلى
صالحهم

١٤ قفة - الجراز - الحلوة ومايتبعها - تكون واحدة فقط مع المحافظة
كمية قفة واحدة . وكذلك الملابس التى تعطى فى هاتين المناسبة
تعطى مجموعة كما تقدم ومن غير زيادة على ما هو محدد . ولا يعطى
اجتماع أهل العريس غير الفوكه الموجودة فى ذلك الفصل .

١٥ عادة الليل ملغاة وتبقى ملغاة . وأما عادة الغداء فتحد بقلبة و
فإن كانت رفيسا فمعها زبدة فقط ، وإن كانت طعاما - سفوف
فمعها زبدة أو البيض . ولا شئ معها من اللحم .

١٦ التاي فى ليلة الزفاف - تاجروت - لا يمكن منعه وكذلك بعد
أفيحف .

١٧ مبلغ الهدية التى يعطيها العريس لعروسه فى الليلة الأولى وفى ثلاثة
وفى سبعة أيام 100.00 مائه دينار لكل مرة . والمبلغ الذى يعط
أبو الزوج للعروس حين يراها 100.00 مائه دينار أيضا فقط .

١٨ من جملة الهدايا التى تعطى فى سبعة أيام والتى وقع تقديمها لليو
الثانى خواتم الذهب فيجب أن يقتصر فيها على خاتمين فقط أو
يقوم بثمنهما من غير زيادة .

١٩ الحفلة التى تقيمها البنات فى دار العريس بعد الزفاف قد ألغيت
ومن الآن فصاعدا فإن المدرسة لا تتكفل بإرسال فرق للقيام به
الحفلة . وعلى النساء الحاضرات إحياؤها فى جو من الطهر والعفا
فكلهن من خريجات المدرسة .

٢٠ من قدم هدية للعروس أو النفساء فليكن سرا وليس أمام الناس
وهذا منعا لإذلال الضعيف وإرهاقه ومحافظة على الحسنات أن
تهدرها وتهدمها الرياء والمباهاة

ا لتراكم الأعمال عند سائر الأفراد العاملين في المجتمع وإرهاقهم
مع المحافظة على السهرات لهذه الأعراس فقد تقرر أن لا يسجل أي عرس ولا
هاتين المناسبتين ختان أو ما يشبههما لتقام في ليلة الإربعاء من كل أسبوع حتى
د. ولا يعطى في تلك الليلة راحة للجميع.
لفصل.
فتحد بقلبة و
لعاما - سفوف

وكذلك بعد أ

ل وفي ثلاثة أ
ل الذي يعط
ما فقط.
قد بهما للبي
بين فقط أو

ان قد ألغيت
فرق للقيام به
الطهر والعفا

س أمام النا
الحسنات أ

-٢٠٠-

الممنوعات

١ من الأمور التافهة في تقاليدنا تقديم زجاجة زيت الزيتون في نحـ
اللتر للعروس وقد كان هذا معقولا لما كان التمشيط في زمن م
بزيت الزيتون. أما الآن وقد حلت زيوت الشعر المستحدثة مح
فمنع تقديم تلك الزجاجة من الزيت أصبح لزاما

٢ إذا اقتضى الأمر نقل العروس على سيارة ليلة زفافها لبـ
منزلها عن منزل زوجها فلا يجوز لذلك أكثر من ثلاث سيار
ومنع التجوال بها في الطرقات وإطلاق الأبواق لما في ذلك
تقليد لغير المسلمين وإزعاج للنائمين. كما نمنع منعا باتا نقل
إلى. المستجاب. الذي ابتدعه البعض أخيرا لما في ذلك من أ
دينية ودنيوية.

٣ ومن الأمور المزرية ما يسمى بكسر الدماغ. أتشلتشول. فهو ممنو
كتبي قبل

٤ حفاظا على تقاليدنا المستحسنة شرعا. واجتنابا لتقليد الأجانب
منعا باتا التتويج الأروبي للعروس. لا بوال والتاج.

٥ تمنع قصعة. برتشو تشس. التي تقدم لغرفة العروس يوم الإ
ويقتصر على قطور واحد، ولا يكون سمنا كما كان في السابق. وكذ
الخبز والسمن اللذان كانا يقدمان لآل العروس في اليوم الرابع.

٦ تمنع أكلة "المحمصة" التي ترسل إلى الحجبة يوم الإصباح كما تم
"الشورية" كذلك. وللوزراء اتخاذ ما يرونه فطورا هناك.

٧ قد ابتدع بعض الناس إعطاء الحناء في دار العروس يوم. الله أكبر. وهـ
أيضا من البدع المنكرة وإنها قد منعت منعا باتا، فهو إسراف ومباهـ

ي لذلك أبدا.
إلى غلاء السلسلة " تيزيباوين " التي تعلق "باللمة" لمة العريس
زيتون في نحـ ا إلى قلة غنائها ثم ضياعها بعد ذلك فإن هذه السلسلة ممنوعة
ن زمن مـ وممنوع تعويضها بشيء آخر كذلك.
ستحدثه مـ العشاء ليلة الختان والعرس نوع واحد من الطعام ونمنع منعا
ل زيادة نوع آخر عليه.
فا فيها لبعـ التصوير وقت تناول الطعام في وليمة العرس و توصي بالاقتصاد
ثلاث سيارا في التصوير.
ما في ذلك إلى أن إخراج - تكرويت - من بيت العروس إثر دخول العريس
ع منعا باتا نقا اة إلى وقوع أمور منافية للحشمة والآداب فقد منع إخراجها. ثم لا
في ذلك من أم العريس إلى بيته سوى اثنين من وزرائه.
ثول - فهو ممن المرق واللحم يوم طعام العادة عند إعدادها عند الزوجة ليتساوى
العريس وأهل العروس. ولا يكون إسراف.
تفنيد الأجانب ك عادة سيئة متبعة عندنا بغرداية دون سائر قرى ميزاب. وهو
وجبات الطعام من العرس ونقلها إلى من لم تحضر العرس - خاصة
ج - ة التتويج - قبل مجيء الرجال وكذا في مناسبات أخرى - بحيث كثيرا
عرس يوم الإ رضت حصة الرجال من الطعام واللحم أو غيرهما إلى النقصان من
في السابق. وكذ تهما، وتعرضت أواني الدار إلى الإستعارة دون مشورة أهلها
م الرابع. رضت إلى الضياع بعدم إرجاعها، وتعرض ما في أواني المطبخ
صباح كما تمـ ل والقهوة إلى إفراغها في الزوايا والرفوف فتلاشت وضاعت و
عناك. ما في ذلك - قبل كل ذلك - تهافت النساء على موزعة المرق والطعام
له أكبر - وهي مزرية تنبئ على الجشع والطمع، وانعدام همة وفقدان كرامة.
سراف ومباهـ كل امرأة تحب أن تتخذ من هذا العرس مزايا بما تبعث منه

لاضمارها ومعارفها الأعزاء من لذيذ المرق و شهي اللحم .
ولقائل أن يعترض ويقول : وغذاء أهلها من زوج وولد ألا تأخذ من الإ
هنا ؟؟
الجواب : تجب أن يتعود النساء إعداد وجبة الطعام لأهليهن قبوح أن يتع
مبارحتهن المنزل لتقطع هذه العادة القبيحة التي فقدنا معها شرف الحضور حتى
كرامتنا فيما بيننا وعند زوارنا من خارج البلد . وصرنا عندهم
الضحك والتندر وكنا أما مهم مظهر الخطاط . فليفهم الجميع
لتتعاون على الكف من أخذ القواطا من دار إلى دار حتى تقضي
هذه الظاهرة الفاسدة والطبيعة السافلة .
أقول ليس الماجد إلا القنوع الزاهد
فما أعز من قنع وما أذل من طمع
والحل الواقعي هو تمكين الحاضرات من تناول عشا هن قبل
تمنع جميع أنواع - تيز يضوين - أيا كان نوعها ومناسبتها . بمنوارعنا ولتز
التي تجعل في جر العروس ليلة زفافها المسماة - تازوضا نونكول - وفطو
والتي بعد العرس ولو طالت المدة ، وبعد الرجوع من الحج والتي تكون إعداد أكل
مناسبة رجوع الزوج من سفره الأول . و بمنع كذلك مايكون هو المعتاد ،
العرس - مثل مفلوقه وتمليتت ، والرفيس - لما في ذلك من رخاص في أ
وتبذير ومباهاة يأبى كل ذلك الله ورسوله والمؤمنون . وهنا
لما تقدم من منع في الشان
وتؤكد منع - إيوزان السفر - و فطوره و قفة العوين ، و شخشير هن و في
سبعة أيام ، و الشخشوخة الإ نتقال إلى الغابة سواء في دار العريس نستنكر كل
في دار العروس
يمنع حفل رجوع الزوج من سفره الأول عند آل العريس وعند آل
في داخل

ق و شهي اللحم. منع حضور غير محارم العريس وسط الدار في حفلة. أكبّ أو
هما من زوج وولداً لا تأخذ من الإنكشاف والترخص في الستر. ومن خصص لهذا اللقاء
ة لذوات المحارم فذلك أحسن وأحصن.
جبة الطعام لأهليهن نوع أن يتعطل. أكبّ أفيخف. لأجل انتظار الصهرات إذا أبـ
يحة التي فقدنا معها شرف الضور حتى لا يتعطل الوزراء عن أشغالهم.
ج ليلد. وصرنا عندهم ننا ظر السمجة في أزقتنا سواء الواسعة منها والضيقة
ط. فليفهم الجميع هذه النسوة ذاهبات، آيبات، غاديات رائحات، إلى النو
من دار إلى دار حتى تقضي زوجات مثل مناسبة تيفتيتين والله أكبر - وسبب ذ
فة. هن في دار آل النفساء - تا مزورت - ليذهبن إلى دار آل
النوع الزا هـ نهن في دار آل العريس ليذهبن إلى دار آل العروس. لأ
أذل من طمع تقرر منع اجتماع النساء في مكان للذهاب إلى مكان آخر
تحاول عشا ئهن قبل ت إلى مناسبة فلتقصدها مباشرة منفردة لتخف وطأ
ن نوعها و منا سبتها. بمارعنا ولتنقطع عادة الاسراف باتخاذ فطور هنا حيث التج
) المسماة - تازوضا نونكل - و فطور هناك حيث التجمع الثاني - والله لا تحب المسر
الرجوع من الحج والتي تكون إعداد أكلتين اثنتين في مناسبة. تيفتيتين. فإما - تيفتيت
يمنع كذلك ما يكون هو المعتاد، و إما تبديله بما يُعادله، ولا شيء غيره. أما
الرفيس - لما في ذلك من رخاص في أكلهم - وتجيم - فلا تسعهم إلا ديارهم عمرها
سوله والمؤمنون. وهذا لله زيارتهم.
في بعد الظهر من يوم - تيفتيتين - للعشاء غير أهل الدار لا ال
لوجه و قفة العوين، و شهيرهن و في الغد من ذلك اليوم - لمنع الرفيس و برتشو تشر
الغابة سواء في دار العريس تستنكر كل الإستنكار جلوس النساء والفتيات البالغات و
ات أمام غرفة العريس في ليلة الزفاف انتظارا لقدومه و
آل العريس وعند آ في داخل الغرفة وقت فتح الباب لدخوله و من حسن إسلام

تركه ما لا يعنيه

٢٣ أبرز أخلاق المسلمة خلق الحياء ومن الدين أن لا تختلط النساء بالر
ولهذا فإننا نمنع أن يتأخر بعض النساء عن المجيء إلى العرس فيُخشى
الرجال لمرورهن خلالهم إلى بيت العروس .

٢٤ ومن المناهي المنكرة والتي حرمها الشرع خروج النساء متعطر
فعلى المسلمات أن يقفن عند حدود الله - ومن يتعد حدود الله
ظلم نفسه -

٢٥ من الآفات التي تهدد كياننا خروج الفتيات البالغات متجلببات
بالقشابية ، وقد بدأ يتفشى فيهن نبذ الكساء الساتر وهذا أيض
مما لا نرضى به أبدا وليكن في علم الأولياء أنه أينما بنت ضبطت
تمشي في الشارع على تلك الهيأة المذكورة أي القشابية وهي تزا
دراستها في مدرسة الإصلاح فإنها تطرد من المدرسة إن لم تمتث
وليها بعد تنبيهه ولا معاودة في الأمر والأسباب الداعية إلى
اتخاذ هذا الموقف هي :

١- القشابية أو ما في معناها مشخص لقدّ الفتاة .
٢- قشابية واحدة أو ما في معناها يساوي في الثمن كساء أو كسائين ساتر
٣- التحافها في الكساء أدنى أن تُعرف فلا تُؤذى من طرف السفهاء وما
لا خلاق لهم بمعاكستهم إياها .
٤- إذا اعتادت القشابية تمادى في اتخاذها وتلازمها حتى بعد زواجها
٥- أن يدخله التفنن في التزويق والتنميق فيؤدي عكس المقصود وليصبح
من شأن المسلمة التي تريد أن تصون عفتها أن تلجأ إلى تزويق
٦- اضطرار ولي البنت إلى اتخاذ حجابين لها كساء وقشابية إسرافا
مباهاة وتقليدا - ويستثنى منهن ذوات العاهات فقط -

التوصيات

لط النساء بالر
لى العرس فيحُ
عدم الإسراف في الحناء فقد يبلغ ثمنها إلى مقدار باهظ
ومن أصحاب العرس ضبط وقت إعداد العادة. والتزامه بدقة حتى
نساء متعطر
ظ على مصالح الناس ومن أعظمها وأجلها صلاة الظهر في وقتها
حدود الله
ضار من تحملها، ومن يتقن وصل حبالها.
ب آفة في لبسه في العرس مفاخرة ومباهاة وفي إعارته التي
متجلببات
ا ما أدت إلى مخاطر من سرقة ونسيان واتهامات تسبب الفتنة
ن وهذا أيه
لوة وفي الخروج به في الأزقة والشوارع المزدحمة. وفي إلفات
نت ضبطه
الغربيات ممن يحضرن أعراسنا إذ يحسن المزابين
ابية وهي تزا
الناس فيحسدوننا زورا فعلناه بأنفسنا. فعلى النساء أن
سة إن لم تمتن
ن الله، و يتحررن من عادة المباهاة بما لهن أو بما ليس لهن
ا داعيه إلى
ن الله لا يحب كل مختال فخور.
نعنا من أنواع اللباس جبة الفرقاني واليوم نؤكد منها ونضيف
ك منع ملحفة القطيفة الحمراء لغلائها، وتعويض ملحفة بروضي
كسائين ساتر
ون كان.
ن الشهاء وم
أمكنه إجراء "الجلسة العائلية" للرجال في الجبة بعد الغدا
يوم الأول - فهو الحازم المبادر - ومن لم يمكنه فلا مانع من جعل
ا بعد زواج
للوزراء و إجرائها ليلا، إذ لا يزال هذا اللقاء بين الأحباب
المقصود وليس
هار لمبادلة التهاني و إسداء التوجيهات من أجل ما نهنئ
تع إلى تزويق
به من تقاليد بغرابه
شابية إسرا
الجميع إلى تبسيط الأمور لنريح و نستريح فلا نشترط مصاحبة
ة لفراش العروس إلى دار العريس ولا التجمع لنقله أو

لاستقباله والليل أنسب وقت لنقله لقلة المارة في الطرقات

٧ نوصي ونرجو من الذين لهم غيرة على مجتمعهم المتبصرين في العواقب أن يخففوا قدر الإمكان في تجهيز بيت العروس فلا يلزموا لأنفسهم ما لا يلزم، إذ عليهم أن يقتصروا لما هو ضروري فلا يزيدون على مرآة واحدة معلومة، ولا يعلقون إطارات القطيفة الباهظة الثمن والسريعة العطب أو تكثير التحف وتعديد أجناسها مثل المبخرة وغيرها.

٨ نرجو أن ينقص الوافدون للتهنئة في الحجبة من عُلَب الشاطو الردي، الذي يبقى مهملا أو يصبح طعمة للبهائم، ونرجو أن يقتصروا على علبة أو علبتين من النوع الجيد وأن يعوضوا ذلك بالتاي والسكر

٩ على أصحاب العرس حجز مكان كاف للعزابة في العرس في ساحة الدار وفي عُلْوِها

١٠ إذا اقتضى الأمر لنقل الواعظات أو الفتيات المنشدات إلى محل العرس بعد المسافة فعلى المتولي بإقامة ذلك الحفل أن تحضر سيارة لائقة لنقلهن محترمات وعليه أيضا أن يضمن إرجاعهن على الأمهات أن يقتصدن ويقللن من تزيين بناتهن وعليهن أن يتركن تزيينهن بالذهب في مناسبات الأعراس وغيرها حتى لا يعرضنهن إلى أخطار الغصب والاختلاس لا قدر الله.

ندعو الجميع إلى الإعتصام بمبادئ الصلاح والمحافظة عليها ومن خالفها لم يكن عندنا مرضيا ولا وليا. ومن المتناقضات الدالة على النفاق أن يدعو أحد العزابة أو المرشدات لإقامة حفلة وهو يقيم حفلات غناء قبلهم أو بعدهم. إننا ننذر هؤلاء

طعتهم. فما يجوز للمسلم أن يكون سفيها يختار اللهو واللغو على كلام
ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم.
جلّ من قائل: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
ثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾

﴿ المائدة ﴾

مايتعلق بالمآتم

١ لا تكون تلاوة القرآن عند القبر وقت دفن الميت ويكتفى بمجلس المحضرة . لأن الحركة والعمل والأخذ والرد كل ذلك مناف لآداب تلاوة القرآن . ولا نرضى أبدا إهانة كتاب الله العزيز

٢ ترك العادة المستحدثة وهو إقامة مآدب عشاء ودعوة الناس إليها فى الأربعين وتمام العام ولربما جاء الناس لحضورها من مسافات التل ولهذا فإننا نمنع هذا منعا كليا وليتق الله المبتدعون .

٣ نوصى بترك الشاي وما يتبعه فى العشاءات التى يوصى بها الميت وما ورا

٤ ونوصى بترك استدعاء الناس للقراءة فى العشاءات وأن يكون بقرادة أولياء الميت الحاضرين فقراءتهم أرجى لدخال المثوبة على الميت من سواهم .

٥ على الناس أن لا يقصدوا فى كتابة وصاياهم إلى الجهلاء بفقه الوصية خاصة والذين يجهلون اللغة والتعبير الصحيح فى الوصية والتزام والأحسن هم يكتبون بخط ردى

٦ الإكتفاء فى العشاءات بثلاث ليال فقط فليست العشاءات ديونا ولا كفارات إن هي إلا صدقات

٧ حيث أن تجهيز الموتى فى المقبرة وليس فى الدار فعلى أولياء الميت احضار سيارة لائقة لنقل الغسالات إلى حيث التجهيز وإرجاعها بعد ذلك من غير تعاون .

يعلن مجلس انظمة الأولى ٩

يعلن أن شمل ما

يعلن : أن هذه اللائحة سيمتنع

يعلن أخ كرام لتطب

" أولئك الذ

خاتمة

يكتفي لمجلس يعلن مجلس العزابة : أن هذه اللائحة مكملة للائحة
ل مناف لأد " انظمة الاعراس والمآتم " الصادرة عنه في ٧ جمادي
ـزيز الأولى ٩ فيفري ١٤٠٤ - ١٩٨٤ فهي لذلك لا تزال قائمة
شاد ودعوة الدلول سارية للفعول .
ـورها من يعلن أن التعديل الذي أجراه في اللائحة الأولى إنما
ـندعون . شمل ما يخص - العادة - و آنثلا - و تفتيـ ـن
وصى بها الميسو ماورد في المواد - ١٢ - ١٥ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ منها .
ـ وأن يكون يعلن : أن الكل مطالب بالشروع في تطبيق ماورد في
ـذل المثوبة عذه اللائحة والتي قبلها من دقيقة إعلانهما ولذلك
سيمتنع مجلس العزابة وهيأة - الفاسلات - والمرشدات
ـد بفقه الوصور الـ ليمتين من منذ إعلان اللائحة . فلا داعـ
الوصية والذيارة و الالحاح عليهم ولا عليهن في الشأن .
علن أخيرا : أنه سيرفع أكف الضراعة إلى ذي الجلال
ـ العشاءات كرام أن يسبغ حبه و بركته وحفظه على كل من
ـع لتطبيق هذه اللائحة بما تحويه من قرارات
ـ لي أولياء المتوعات و توصيات - من رجل وامرأة ، وغني وفقير
ـ التجهيز واج

" أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ "

قائمة المصادر والمراجع

1 - إبن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني بيروت 1968 .

2 - إبن خلدون، المقدمة، بيروت 1979.

3 - الدرجيني أبو العباس، طبقات المشايخ بالمغرب، حققه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة (د.ت).

4 - أبو زكرياء يحي بن بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي الجزائر 1979.

5 - الزركلي خير الدين، الأعلام، مطبعة كوستانيوماس، مصر1959.

6 - الشماخي (أحمد سعيد بن عبد الواحد)، السير، طبعة حجرية ، القاهرة، (د.ت).

7 -أبو العباس أحمد بن بكر الفرسطائي، القسمة وأصول الأراضين، تحقيق بكر بن محمد وصالح ناصر، غرداية 1979.

8 - القرآن الكريم.

9 - أبو سعيد المجيلدي، كتاب التسيير في أحكام التسعير، تحقيق لقبال موسى الشركة الوطنية للنشر، الطبعة الثانية، الجزائر 1981.

10 - ابراهيم إمتياز، كتب في بعض التواريخ، مخطوط أبو اسحاق محمد غرداية 1972.

11 - اسماوي صالح، نظام العزابة ودوره في الحياة الإجتماعية والثقافية بوادي ميزاب رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة (تاريخ) ، الجزائر 1986.

12 - أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت 1979.

13 - أعوشت بكير بن سعيد، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مطبعة البعث غرداية. (د.ت)

14 - أعوشت بكير بن سعيد، رجال خالدون في ذاكرة الإسلام ، المطبعة العربية غرداية (د ، ت).

15 - أطفش (محمد بن يوسف)، رسالة شافية في تاريخ وادي ميزاب ، مخطوط بمكتبة "القطب"، غرداية .(د.ت).

16 - أطفيش ، كتاب النحلة في معرفة النخلة ، غرداية (د.ت)

17 - بن بكير يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين دراسة إجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية غرداية، 1992.

18 - بحاز ابراهيم، الدولة الرستمية 196-296 / 777-909 م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، طبعة مزيدة ومنقحة الجزائر 1993 .

19 - الباروني (أبو الربيع سليمان) ، مختصر الإباضية، مكتبة الاستقامة تونس، 1938.

20 - بوعصبانة عمر سليمان ، معالم الحضارة بوارجلان، الجزائر 1992

21 - بومريقة الحاج سليمان، تفصيل الجواب عن تقاسيم المياه، غرداية 1982.

22 - جهلان عدون، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال أراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، رسالة ماجستير في الفلسفة الإسلامية الجزائر، 1987.

23 - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

24 - الجعبيري (فرحات) ، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المطبعة العصرية، تونس 1975.

25 - جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال ق (3-4/9-10)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1992.

26 - الخطيب عبد الكريم، الخلافة والإمامة ديانة وسياسة ، دار الفكر 1963.

27 - خليفات محمد عوض ، النظم الإجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان ، عمان 1982.

28 - خليفات محمد عوض، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ، الجامعة الأردنية، عمان الأردن، (د.ت).

29 - دبوز محمد ، تاريخ المغرب العربي ، ج2 ، الطبعة الأولى ، حلب 1963

30 - رمضان كمال، مصليات المقابر بوادي ميزاب خلال القرن (15/9) الجزائر، 1993.

31 - محمود اسماعيل عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدار البيضاء المغرب، 1985.

32 - ابراهيم محمد الطلاي ، مزاب بلد كفاح ، دراسة تاريخية إجتماعية، مطبعة اليعث قسنطينة 1979.

33 - اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1983.

34 - محمد بن عميرة ، دورزناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984.

35 - القاسمي (ظافر) ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، بيروت 1977.

36 - معمر علي يحي، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، المطبعة العربية غرداية 1994.

37 - معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ (أربعة أجزاء) ، المطبعة العربية غرداية، (د.ت)

38 - توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف ، القاهرة 1936.

39 - مدكور محمد سلام، معالم الدولة الإسلامية، الطبعة الأولى ، الكويت 1983.

40 - مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، قرارة، 1996.

41 - محمد ناصر، الشيخ القرادي، حياته وأثاره ، ج1، (الفن المعماري في ميزاب) نشر جمعية النهضة ، العطف ،1990.

42 - عبد الله نوح، النظم التقليدية العرفية بوادي ميزاب، الجزائر 1993.

43 - النوري حمو محمد عيسى ، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، دار الكروان ، باريس 1984.

44 - ابراهيم بن يوسف، اشكالية العمران والمشروع الإسلامي، الجزائر 1992.

الأبحاث العربية

1 - اسماوي صالح، العطف، محاضرة ألقيت بملتقى في قسنطينة، 1989.

2 - بابا واسماعيل عمر، وادي ميزاب، مجلة التاريخ، عدد 19، منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر 1985.

3 - رشيد بورويبة، الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة، مجلة الأصالة، منشورات الشؤون الدينية، العدد 41، الجزائر1977.

4 – محمد بلغراد، الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة، مجلة الأصالة ، العدد 41 الجزائر 1977.

5 - تقرير عن نظام توزيع مياه غرداية ، الصادر عن ديوان حماية وترقية سهل وادي ميزاب ، غرداية 1998.

6 - عمر قاسم، دور العزابة الإجتماعي، مهرجان الذكرى الألف لتأسيس الحلقة، غرداية 1988.

المواجع الفرنسية

1)- Anne Marie Abderrahim - Reichlen, Contribution à l'étude de la Vie Sociale et Economique de la Communauté Ibadite du M'Zab d'Algérie, Doctorat du 3ème cycle en sociologie, Paris 1980

2)- Addoune (Aîcha Daddi), Sociologie des Algériens Ibadites, ghardaïa,1977.

3)-AMat (Charless),le M'zab et les Mozabites,Paris,1888.

4)-Benyoucef (Ibrahim),le M'zab Espace et Societé, Alger, 1986.

5)-Bourdien (Pierre),que sais-je? Sociologie de l'Algerie,Presse Université de France,1958.

6)-Ives Constant, La Cité Ibadite de la vallée du M'zab, Thèse du 3ème cycle-Nancy-1979.

7)-Encyclopedie de l'Islam(y.e) brill, Tome II Paris 1977.

8)- Feliu (F), Etude sur la Législation des Eaux et de la Chebka du M'Zab, Blida,1909.

9)-José Gers, Au M'zab dans le Désert,Belgique 1936.

10)-Gerber Alex, le Corbusier et la Leçon du M'zab,1979.

11)- Gondolfi-Alain, Les Marchés du M'Zab, Paris 1949.

12)- Merghoub-Belhadj, Le Dévelopement Politique en Algérie, F.N.S Paris 1972.

13)- Le M'zab, Imprimerie lithegraphique et thypographique,Baconier, Frères

Alger (لم يذكر صاحب الكتاب وسنة الطبع)éditeurs,

14)- Mercel Mercier, Civilisation Urbaine au M'Zab, Editeurs P et G sourbiron,Alger,1932.

15)-Manuelle-Roche, le M'zab architecture Ibadite en Algérie, Arthnaud, France,1973.

الأبحاث الأجنبية

1)- Jean Berrien, Le Miracle de L'eau à Ghardaïa, Bulletin de Comité de l'Afrique Française,Paris decembre 1930.

2)- (J) Brunthes, Les Oasis du Souf et du M'Zab, Bulletin de Comité de l'Afrique Française, decembre 1938.

3)- Charlet (L.T), Les Palmiers du M'Zab, Bulletin de la Société de Géographie d'Alger,1905.

4)- Capitaine Cauvet, Culture du Palmier dans le Sud Algerien, Bulletin du Comité de l'Afrique Française n° 7, novembre 1902.

5)-Coyne (M), le M'Zab, Revue Africaine n° 23 O.P.U, Alger 1979.

6)- Charbert (Alexendre), Le Comportement Economique des Musulmans les (Mozabites), Revue d'histoire Economique et Sociale, Paris 1961.

7)- Chikh (Slimane), le Maghreb Musulman, Extrait de L'annuaire de l'Afrique du nord, Centre de Recherches et D'études sur les Sociétes Méditeranéennes, Paris,1979.

8)- Fekhar (Ibrahim), les Institutions Ibadites Maghrébines au Moyen Age (institution des Azzaba), Conférence, Actes du III^{ème} Congrés D'histoire et de Civilisation du Maghreb O.P.U, Alger, 1987.

9)- Hurlaux, Les Territoires du Sud Agricoles et Economiques, Bulletin de Liaison n°43, septembre 1961.

10) Hurlaux, La Culture des Palmiers dans les Oasis du M'Zab, Conférence du 3 fevrier 1909, Bulletin de la Société Géographie d'Alger, 1909.

11) Huguet (j), Le Pays du M'Zab, Bulletin de Sociologie et Géographie, Alger, 1898.

12) Huguet (j), Les Villes Mortes du M'Zab, Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie,1903.

13) Motylinski, Guerrara depuis sa Fondation, Revue Africaine O.P.U, n° 28 Alger 1984.

14) Marcel Mercier, Notes sur une Architecture Berbere Saharienne, Hesperis 3ème et 4ème trimestre 1928.

15) Pottier (R), La Législation de L'eau au M'Zab, Encyclopédie Mensuelle D'outre -mer, janvier 1953.

16) Shacht (j), Sur La Diffusion des Formes D'architecture Religieuse Musulmane à Travers le Sahara, Travaux de L'institut de Recherches Saharienne, Tome 11, Alger 1954.

17) Tempia Emilio, le M'Zab Un Modèle D'architecture Spontanée in El Djazaira, Revue du Ministère du Tourisme n° 14 Alger.

فهرس الأعلام

-أ-

عبد الله بن أباض: 27 ،اطفيش الحاج محمد بن يوسف: 92،23، 98، 176، 181 ،امتياز ابراهيم: 54، 166،55 ،ابن الأشعث: 43، 44، بن أبغور: 96.

-ب-

بابا سعد: 96، أبا بكر بن يحيى : 61، أبو بلال مرداس ابن أدية: 23، 26، 27 ،عبد الله أبو بكر النفوسي: 60، 61، 63، 64، 78، بني بادين: 89.

-ت-

عبد الله بن مسعود التجيبي: 42، أبو عبيدة بن أبي كريمة مسلم التميمي: 31، 33،32، 34.

-ج-

عبد الجبار بن قيس المرادي: 43،42، جابر بن زيد: 25، جنون بن يرمان: 51.

-ح-

حميد بن عبد الله: 42، 43، إلياس بن حبيب: 42، عبد الرحمان بن حبيب: 43،42، عمران بن حطان: 28، لحارث بن تليت الخضرومي: 43، الحجاج بن يوسف: 27،21، 30.

-خ-

ابن خلدون: 37، أبي الخطاب: 43، 44.

-د-

أبو دحمان ويرو سليمان: 98، الدرجيني: 60، 62.

-س-

عبد الرحمان بن رستم: 44،43 ، سلمة بن سعد الخضرومي: 42.

-ش-

الشماخي: 48.

-ع-

عاصم السدراتي: 48.

-م-

عبد المالك: 33، يزيد بن المهلب: 33.

-ز-

زناتة: 50،35،20.

فهرس الأماكن

-أ-

أريخ: 89،55،54،53، وادي أزويل: 154،145،137،20،أغرم أنوداي: 98،92.

أغرم نتلزضت: 90،أولاول: 155،91،أوخيرة: 91.

-ب-

وادي باللوح: 137، بربان: 155،149،24،22،20، بابا ساعد: 92، بوهراوة: 92،

بوريزة: 92، بونورة :156،155،154،147،106،95،91،26،24،20،البصرة: 34،33،31،

وادي بلغم: 137، بوشمجان: 138،137،136.

-ت-

ترشيش: 92، تفلالت: 93، تيهرت: 140،44،40،39، تاجنينت: 96، تلمسان: 44. قصر تامزارت: 92.

-ج-

الجزائر: 45،44، الجريد: 47، حضر موت: 33.

-د-

جبل دمر: 43.

-ز-

وادي زرقون: 20، وادي زقرير: 20.

-س-

وادي السودان: 20، سدراته: 89،61،49،48.

-ش-

شعبة مومو: 93، شعبة النيشان: 137، شعبة إينيرز: 137، الشعابنة: 20.

-ط-

طرابلس: 43.

-ع-

العطف: 149،147،125،100،91،28،25،22،20، العديرة: 20.

-غ-

غرداية: 20، 21، 25، 28، 30، 70، 91، 125، 137، 140، 141، 150.

-ل-

وادي لبيض: 136، 137، 138.

وادي لعديرة: 136، 137 ، 138.

-م-

مليكة: 20، 35، 40، 92، 93، 153، 158، 160، متليلي: 20، المغرب: 42، 58.

وادي ميزاب: 20، 35، 40، 61، 63، 79، 84، 86، 87، 134، 135، 137، 138، 140، 145، 147، 149 ، 152، 153، 155، 163، 166، 176.

-ن-

وادي انغير: 145، 147، 153.

الفهرس

- مقدمة 10

القسم الأول:.....

الفصل الأول:.....

I- الميزابيون واعتناقهم المذهب الإباضي..... 19

1- الموقع..... 20

2 - نسبة الميزابيين..... 22

3- المذهب الإباضي بالمشرق..... 24

4- تعريف الإباضية..... 28

5- المجالس الإباضية..... 32

أ- المجالس العامة..... 32

ب- مجالس المشايخ..... 32

ج- مجالس العلم..... 32

6- العقائد الإباضية..... 34

7- الخلافة..... 36

8- الإمارة 38

9- الإمامة عند الإباضية..... 38

أ - الظهور..... 39

ب- الدفاع..... 40

ج- الشراء..... 40

د- الكتمان..... 41

II- الحركة الإباضية بالمغرب..... 42

1 - فرار الإباضيين إلى سدراتة ووارجلان..... 48

2 - الإستقرار بوادي ميزاب..... 54

الفصل الثاني:

I- نظام العزابة وآثارها على المجتمع الميزابي..... 57

1 - نشأة نظام العزابة..... 58

2- شروط العضوية لهيئة العزابة..... 62

3- طريقة إختيار عضو العزابة..... 64

4- لباس العزابة..... 65

5 - أعضاء هيئة العزابة..... 66

II - هيكل العزابة..... 66

1-شيخ الحلقة..... 66

أ - شروط اختيار شيخ الحلقة..... 67

2- إمام الصلاة..... 69

3- المؤذن..... 69

4- وكيلا الأوقاف..... 69

5- العرفاء..... 70

6- الغسالون..... 70

7- هيئة إروان..... 71

8- أصحاب المحاضر..... 72

9- هيئة إمصوردان..... 72

10- هيئة الغاسلات..... 74

III- مهام العزابة..... 75

1- الجانب الديني..... 75

2- الجانب الإجتماعي..... 76

3- الجانب الإقتصادي..... 77
4- الجانب الثقافي..... 79
أ- الآمرون..... 81
ب- المأمورون..... 82
ج- أوقات الدراسة..... 82

VI- الهيئات المرتبطة بنظام العزابة..... 84
I- هيكل العشيرة..... 84
أ- مجلس العشيرة..... 84
ب- رئيس العشيرة..... 85
ج- مجلس العوام..... 85
د- مجلس عمي سعيد..... 87

القسم الثاني:

الفصل الثالث:..... 88
I- تأسيس المدن الميزابية..... 89
1- القرى الميزابية المندثرة 89
أ- ضواحي قصر العطف..... 90
- أغرم نتلزضت..... 90
- أولاول..... 91
- أوخيرة..... 91
- قصر تامزارت..... 92
ب- ضواحي غرداية..... 92
- بوريزة..... 92
- قرية بوهراوة..... 92

- قصر بابا ساعد..... 92
ج- ضواحي بني يزقن..... 93
- ترشيش..... 93
- أقنوناي..... 93
- تنلالت..... 93
- أتلالت..... 93
- مومو..... 94
2- تأسيس المدن الميزابية..... 95
أ- العطف..... 96
ب- بونورة..... 97
ج - غرداية..... 97
د- مليكة..... 98
ه- بني يزقن..... 98
و - القرارة..... 99
ي- بريان..... 100
3- مميزات المدينة الميزابية..... 103
أ- المدينة..... 103
ب- الحصون والأسوار..... 105
ج- الأبراج..... 107
د- المنازل..... 110
هـ- بيوت الواحات..... 114
4- المواد المستعملة في البناء..... 115
5- المسجد..... 118
6- السوق..... 122
7- المقابر والأضرحة..... 128

الفصل الأول:..... 133
I- نظام تقسيم المياه بوادي ميزاب..... 134
1- ناحية السيل شرقا..... 137
أ- وادي لعديرة..... 137
ب- وادي لبيض..... 138
ج- شعبة إينيرز..... 138
د- شعبة عوقبا..... 140
هـ - شعبة بابا والجمة..... 140
2- ناحية السيل غربا..... 141
3- سدوب ميزاب..... 146
4- الأبار الميزابية..... 149

II- أهم الأودية التي تسقي واحات ميزاب..... 152
1- واحة غرداية..... 152
2- واحة مليكة..... 153
3- واحة بني يزقن..... 153
4- واحة بونورة..... 154
5- واحة العطف..... 155
6- واحة بريان..... 155
7- واحة قرارة..... 158
8- كيفية تقسيم المياه على أجنة ميزاب..... 158
9- كيفية بناء الكوة..... 161

الفصل الثاني: 165
1- زراعة النخيل بوادي ميزاب..... 166
أ- السقي..... 166
ب- الغرس..... 169
2- الجني والتلقيح..... 174
3- تخزين التمور..... 180
4- أمراض التمر وعلاجه..... 181
5- فوائد النخلة..... 184

الخاتمة..... 187
الملاحق..... 190
ببليوغرافيا..... 205
فهرس الأعلام والأماكن..... 215
الفهرس العام..... 218